



مجلة فصلية: شرعية، ثقافية، علمية، اجتماعية
تصدر عن إدارة البحوث والاستشارات بمركز الشيخ علي الغرياني للكتاب

السنة الثانية العدد السادس | فبراير 2025م، شعبان 1446 هـ

حين تُصوّب المقاومة بوصلة العالم
المقاومة من منظور استراتيجي.
يوسف لطفي: كاتب

28

حوار مع رئيس مجمع
اللغة العربية بروفيسور:
عبد الحميد عبد الله الهرامة

10

الدروس المنسية في فتح الشام
الكاتب: محمد الهامي

46

من يقرّر هوية سوريا المحرّرة؟
الشيخ/ أحمد القصص

32

2025

2011



الذكرى السنوية الرابعة عشر
لثورة السابع عشر من فبراير

فهرس

9 - 6 الإحتفال بالذكرى الرابعة
لمركز الشيخ على الغرياني
للكتاب

15 - 10 حوار مع رئيس مجمع اللغة
العربية بروفيسور: عبد
الحميد عبد الله الهرامة

27 - 16 قراءة في كتاب:
العنف وإدارة الصراع
السياسي في الفكر
الإسلامي.. بين المبدأ
والخيار.. "رؤية إسلامية"
د. محمد خلفه الصديق

31 - 28 من غزة إلى دمشق:
حين تُصوّب المقاومة
بوصلة العالم
المقاومة من
منظور استراتيجي.
يوسف لطفي: كاتب

35 - 32 من يقرّر هوية
سوريا المحرّرة؟
الشيخ/ أحمد القصص

45 - 40 عندما يسير التاريخ
إلى الوراء (2)
الأستاذ: محمد خليفة

49 - 46 الدروس المنسية
في فتح الشام
محمد الهامي

53 - 50 صدر في العام 2024

مشعل

مجلة فصلية: شرعية، ثقافية،
علمية، اجتماعية

تصدر عن إدارة البحوث
والاستشارات بمركز الشيخ
علي الغرياني للكتاب



مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب
Sheikh Ali Alghirvani Book Center

تاجوراء، قرب كوبري الشاحنات،
بجوار مدرسة قلعة العلم

@ Shabcenter

00218 91 024 0866

info@shabcenter.ly

افتتاحية العدد

الفجر الصادق والربيع الواعد

17 فبراير تاريخ يؤذن باقتراب نهاية الشتاء، ويبشر بمقدم الربيع. تتناوب فيه أيام شديدة البرودة وأخرى ربيعية زاهية، وكلما تقدمت الأيام كثرت الأيام الربيعية وقلت أيام الشتاء، حتى يدخل فصل الربيع بنسيمه العليل، وورده الجميل، وكذلك حياة الأمة في هذه الفترة... هناك أحداث شديدة الوقع على النفس من ألمها وبؤسها، وأيام مشرقة زاهية... والظن بالله أن تزيد أيام الربيع لنصل إلى ربيع كامل تشرق فيه شمس الحرية على كل الدول الإسلامية، وتتخلص فيه من الاستبداد والخضوع للأعداء.

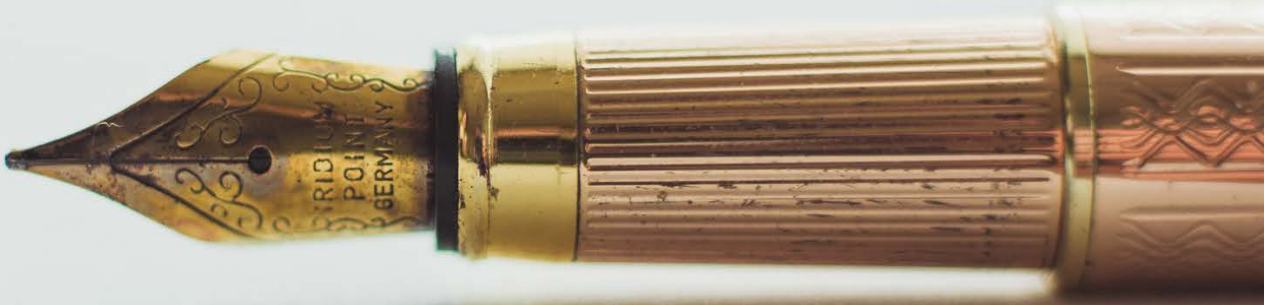
من الأيام الربيعية في "تقويم" الأمة القريب: رحيل المحتل الأمريكي عن أفغانستان ونجاح الثورة فيها، وهروب طاغية بنغلاديش حسينة وزوال نظامها الذي قتل العلماء وشرذ المشايخ، ثم زوال نظام الأسد ونجاح الثورة السورية، ثم أخيراً نجاح حماس في إبقاء كيائها وإخراج المحتل الصهيوني من غزة، والإفراج عن أعداد كبيرة من المعتقلين والمعتقلات من أبناء وبنات شعب فلسطين المجاهدة، وغير ذلك من الأحداث العظيمة.

هذه الأحداث بهذا الترتيب تشير إلى أن أيام الربيع تسير بعجلة تسارعية؛ وأن اكتمال الربيع قريب بإذن الله، وأن الجهود الكثيفة في القضاء على هذا الربيع إلى زوال مهما تعاظم مكرهم (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)

ولعل هذه الأحداث أوضحت للجميع أن مستقبل الأمة واحد، وأن عدوها واحد، وأن ربيعها كذلك واحد، تختلف الجزئيات هنا وهناك لكن تبقى الأمة واحدة وتواجه عدوا واحداً، وأن أمطار الشتاء تتجمع لتصبح طوفانا يعيد الربيع أسوة بطوفان الأقصى بتوفيق الله.

وأهم ما يساعد على الاقتراب من الربيع الكامل هو وعي الشعوب، ومعرفة المخططات التي تحاك ضدها، وتنمية روح المقاومة فيها، وكل ذلك يحتاج إلى عقل وفهم وزهد وعبادة وجلد وصبر واستعداد.

والله يوفق للعمل، ويعين على تجنب الزلل، ويسدد للوصول إلى الأمل: إلى الربيع.



من نشاطات مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب:

الجلسات الحوارية

قطاع غزة

ضيف الجلسة الدكتور: محمد سعد الحداد رئيس قوافل «فلسطين قضيتنا»

◆ سلسلة جلسات خارطة المصلحات لمناقشة كتابين :

بوصلة المصلح، والمنهاج من ميراث النبوة

مع الأستاذتين : منى الشريف وخديجة الساعدي

◆ دردشة فكرية لترسم معاً «خارطة الوعي الفكري للمجتمع»

ضيف الحلقة: الشيخ زين خيرالله

◆ سلسلة جلسات (نادي الياقات) بعنوان:

كيف تكون صديقتي رفيقتي في نجاحي؟

تقديم الأستاذة: مارية الغرياني .

◆ جلسة حوارية بعنوان:

قراءة في كتاب: الخيال السياسي للإسلاميين ما قبل الدولة وما بعدها، تأليف: د. هبة رؤوف

مع الأستاذ: فرج المجبري .

من ضمن الأنشطة والفعاليات التي نظمها مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب مؤخراً عدداً من الجلسات الحوارية المباشرة والتي شارك فيها عدد مقدر من العلماء وأصحاب الشأن من أساتذة الجامعات والمختصين ناقشت عدد من الموضوعات التي تهم المجتمع كالقضايا الشرعية وقضايا التعليم والقضايا الفكرية وهي من ضمن سلسلة حلقات أسبوعية راتبة درج المركز تنظيمها أسبوعياً بمشاركة الجهات الراعية والمؤسسات والعلماء وأصحاب الفكر والرأي.

◆ جلسة حوارية بعنوان:

قراءة في كتاب: دليل السالك إلى ضوابط نقد المتن في موطأ مالك

المؤلف: د. عبد السلام العزوزي.

الجلسة كانت مع الشيخ الدكتور: محمود سلامة الغرياني .

◆ جلسة حوارية حول كتاب:

اترك أثراً.. انشر معرفة .. دورك في إضاءة الطريق للآخرين

ضيف الحلقة المهندس الأستاذ: المثنى المبارك.

◆ جلسة حوارية بعنوان:

أثر الجهود الليبية في إيصال المساعدات الإنسانية إلى

المحاضرات

◆ محاضرة عبر الزوم بعنوان: ((سوريا الحرة ..
بشائر التحرير وتحديات التمكين))

مع: د. ياسر محمد القادري القيادي في الثورة السورية.

◆ محاضرة بعنوان: الصالون الثقافي

مع الأستاذة: فريال الدالي.

◆ دورة تدريبية بعنوان:

أساسيات برنامج كانفا

دورة خاصة بالبنات من عمر 18 إلى 30 سنة

◆ الجلسة الخامسة من نادي اليافعات: «عنوان:
»معاً نستعد للامتحانات

◆ محاضرة عبر الزوم بعنوان:

((الحدث السوري .. محاولة للفهم))

مع الأستاذ: زياد بومخلة.

◆ محاضرة تعريفية بكتاب:

(مشروع تمكين الأمة المسلمة)

للمؤلف: حسن أحمد الدقي.

مع الأستاذة: منى الشريف خاصة بالنساء فقط



الاحتفال بالذكرى الرابعة لافتتاح مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب



6000 عنوان من أمهات الكتب في شتى ضروب العلوم والمعرفة.

اليوم وبعد أربعة أعوام يحتفل المركز بالذكرى الرابعة لافتتاحه؛ وسط حضور عميم؛ أمه لفييف من العلماء، والباحثين، ومدراء المؤسسات، العلمية، والثقافية، والمهتمين من رواده.

في 28 نوفمبر من العام 2020 تم الافتتاح الرسمي، لمركز الشيخ علي الغرياني للكتاب كمركز ثقافي، ووعاء بحثي، وصرح علمي متكامل بتاجوراء، ليسهم في نشر الوعي، وترشيد الفكر لكافة أفراد المجتمع، ويهتم بكل ما يخدم البحث والكتاب، وطلاب العلم، والأساتذة والمتخصصين، ورواد القراءة، بأحدث النظم التكنولوجية والمعلوماتية حيث بدأ مسيرته بما يزيد

أربعة أعوام؛ تمت من خلالها المرحلة الثانية، من البناء، والتطوير، في المكتبة لتصل الكتب العلمية، والثقافية، والأدبية، لما يربو على 43142 عنواناً؛ بجانب عمليات التوسعة، والزيادة، والتطوير؛ حيث تمت توسعة صالة المطالعة، وأضيف إليها عدد من المكاتب الفرعية، بجانب ذلك كله، إضافة جديدة لطابقين، يجري تشييدهما، يضمان صالة كبيرة للقراءة، والاطلاع؛ وصالة كبرى للأنشطة الجماهيرية والمناسبات، والفعاليات العامة؛ كخدمة مجانية للمجتمع؛ بجانب التوسعة في المكاتب الإدارية والقاعات الفرعية، للورش، والسمنارات، والاجتماعات، وغيرها.

كلمة البروفيسور خالد



رئيس جامعة طرابلس في حفل الافتتاح

حضرت منذ سنتين الذكرى الثانية؛ وأحضر اليوم للذكرى الرابعة وقد اكتشفت المركز من خلال بناتي فقد أبلغتني إحدى بنات الحضور للمكتبة والدراسة فيها هي وزميلاتها وحضرت معها يومها يومين أو ثلاثة حتى أصبحت من رواد هذه المكتبة ووجدت أنها مكان محفز على القراءة والاطلاع بما فيها من كتب وبما فيها من جو يحفز على العمل والابداع والمكتبة قياساً من أسرتي لها دور كبير جداً على المجتمع المحلي في تاجوراء وهي بؤرة إشعاع ثقافي وعلمي في المنطقة وقد أرجعت التلاميذ والشباب من جديد إلى الكتاب وهذه في حد ذاتها تكفي مساهمة من هذه المكتبة لأن هناك تصحر ثقافي وبعد كبير عن الكتاب ونحن من الأمم التي تصنف على أنها لا تقرأ والاحصائيات العربية والدولية حول ليبيا بالذات مشينة جداً في هذا المجال لكن الحمد لله الآن الحمد لله هذا الصرح العلمي الكبير حق لتاجوراء أن تفخر به وحق لكل من عمل به وساهم فيه وسعى لتطويره أن يفخر به.

وقد علمت أن المكتبة تقبل التبرعات ستقوم الجامعة بطلب نسخة أو نسختين حسب ما تطلب المكتبة من جميع منشورات جامعة طرابلس وسأحفز زميلي في الجامعة المفتوحة على أن يهدي منشورات من الجامعة المفتوحة للمكتبة وأنا قد كنت شاهداً على ما حصل من تصحر ثقافي وبعد عن الكتاب في تاجوراء فعندما كنت في المدرسة الإعدادية في تاجوراء كانت فيها مكتبة جيدة واذكر على سبيل المثال لا الحصر أننا كنا قد قرأنا كتاب (الفتنة الكبرى) الجزء الأول لطفه حسين وكنا متشوقين وفي انتظار الجزء الثاني لمعرفة على من سيحط المسؤولية في الفتنة الكبرى وحينما أتى الكتاب تلقفناه وتناقلناه من يد إلى يد حتى كاد الكتاب أن يذوب في أيدينا لكن للأسف لم يكن هذا الجو موجوداً.





هذه المكتبة خطوة جبارة في اتجاه العودة نحو المتاب ونحو الثقافة ونحو وجود مراكز الاشعاع الثقافي فتمنى أن يقوم فرع الجامعة بدوره أيضا في نشر الثقافة والمعرفة وهناك مخطط لإقامة مسرح كبير هذا المسرح ستستغله الجامعة في أنشطتها وخاصة حفلات التخرج لكن مصمم أساسا خدمة مجتمعية للمنطقة وسيكون بمشيئة الله مكانا لإقامة الأنشطة الكبيرة لبلدية تاجوراء

كلمة الدكتورة نجاح بن زايد

مديرة الشؤون الثقافية بالبيت الليبي للعلوم والثقافة



إن الأمر الإلهي إقراء هو أول تكليف إلهي وضع الأساس المتين لحياة الإنسان على الأرض فالرسالة هي رسالة علم وتعلم يقول ابن المبارك رحمه الله تعالى لا أعلم بعد النبوة درجة أعظم من بث العلم ولعل القارئ لكتب التاريخ سيلاحظ وسيدرك هذه الدرجة للعلوم وللعلماء في الحضارة الإنسانية وعبر مراحلها المختلفة مركز الشيخ على الغرياني للكتاب هو استمرار لمسيرة بدأت منذ قرون وهو تجسيد للروح العظيمة والعملاقة في احتضان الكتاب والقراء يذكروا بيت الحكمة بغداد ويذكروا بمكتبة قرطبة بالأندلس وهو أيضا منبر فكري وصلون ثقافي يحملنا راسا إلى ما يسمى قديما بالمجالس كمجلس السيدة سكينة بنت الحسين ومجالس هارون الرشيد وسيف الدولة الحمداني.

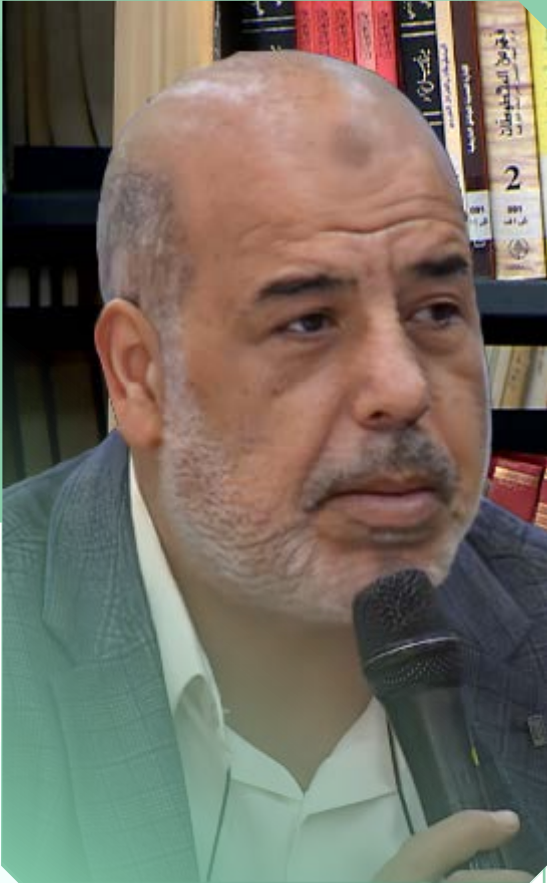
نحن فخورون بالمركز وبإدارته وبأعماله ونحن كلنا فخورون باعتزاز بالأبيادي السمحاء الخفية التي بذلت الكثير من أجل إقامة هذا الصرح ومن أجل استمراره ولا أزيد على قول الإمام ابن القيم عن إن الجود بالعلم من أعظم مراتب الجود والجود بالعلم أفضل من الجود بالمال لأن العلم أشرف من المال.

كلمة السيد: خالد علي الأزرق

عميد بلدية تاجوراء



هذا الصرح الذي هو نقلة نوعية داخل بلدية تاجوراء للتعريف بالكتاب والمراجع العلمية وقد استفاد منه الطلبة في تاجوراء في المذاكرة والاطلاع بالذات فترات انقطاع الكهرباء شكر كبير للمركز وللخدمات التي يقدمها ننمى للمركز مزيد من التقدم وفتح أماكن أخرى داخل بلادنا الحبيبة بالذات في ظل العزوف في مجتمعنا عن القراءة والاطلاع والتعرف في المجالات العلمية والثقافية وفي هذا اليوم نترحم على الشهيد الشيخ نادر العمراني والذي كانت كتبه من أوائل الكتب التي دخلت المكتبة وجهود فضيلة مفتي ليبيا الشيخ



الصادق الغرياني على مجهوده على هذه الاعمال التي تقرب المجتمع وانا اليوم سعيد لكوني في يوم من الأيام كنت أحد طلاب هذه المدرسة خلال المرحلة الابتدائية

كلمة السيد: نزار محمد عثمان

مدير مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب



توقفنا فترة من الزمن ونقلنا كل هذه الكتب الى خارج الصالة ثم أعدناها مرة أخرى وكان حملاً ثقيلاً أن نعيد أكثر من ثلاثة وأربعين ألف عنوان الى مكانها في ترتيبها الذي كان وقد تم أكثر هذا الامر بجهد طوعي شارك فيه الكبار والصغار الرجال والنساء الطلاب الفرق الكشفية أعداد كبيرة تبرعت من وقتها وجهدها وساهمت في ان تعود المكتبة الى ما عليه اليوم امامكم وخلال فترة التوقف رأينا الحب الذي يكنه الناس لهذا الصرح ولم تتوقف الاتصالات وقد وصلتنا نحو خمسمائة رسالة جميعهم يسألون عن موعد افتتاح المكتبة ولا أبالغ عن قلت أن كل منشور ينزل في صفحة المركز كان يتكرر ذات السؤال (متى تعيدون افتتاح المكتبة؟) وقد أشعرنا ذلك كله بالحب الذي يكنه الناس لهذه المكتبة والصلة بيننا وبينكم ولذلك فإن هذا المركز منكم وبكم وإلحكم وبحمد لله المركز له متابعون كثري في عدد من الدول العربية يشاركون المركز نشاطاته.

المركز وكما وعد في السابق بإنشاء قسم للدراسات العليا يهتم برسائل الدكتوراه والماجستير نؤكد لكم بان القسم قمت وبحمد لله الآن فيه عدد من الرسائل العلمية وكما وعدنا بتوفير المراجع العلمية للباحثين والدارسين وبحمد لله أيضا وفينا بهذا الوعد والمركز أول مؤسسة في ليبيا تتحصل على الاشتراك في دار المنظومة وتوفر هذا الاشتراك مجاناً لكل الباحثين والدارسين ودار المنظومة هي أوثق وأكبر مكتبة علمية عربية تشمل ست قواعد بيانات أساسية.

المركز أيضا وعد بتوفير معينات لذوي الاحتياجات الخاصة وبحمد لله بدانا في ذلك بالمكتبة المسموعة وسنضيف فئات أخرى من الذين يحبون القراءة



حوارٌ مع : رئيس مجمع اللغة العربية عبد الحميد عبدالله الهرامة



في الثامن عشر من ديسمبر من العام ١٩٧٣م، اعتمدت الأمم المتحدة اللغة العربية ضمن لغاتها الرسمية، في خطوة كبيرة مثلت إقراراً عالمياً بمكانة هذه اللغة وأهميتها، ومكانتها بين لغات العالم؛ مجلة مشعل وبمناسبة اليوم العالمي للغة العربية التقت بالبروفيسور عبد الحميد عبدالله الهرامة رئيس مجمع اللغة العربية الليبي لتتعرف من خلال إجاباته على أهمية اللغة العربية ومكانتها والمحافظة عليها وأبرز الأنشطة التي يقدمها المجمع.

مقتطفات من السيرة الذاتية

عبد الحميد عبدالله الهرامة

ليسانس آداب وتربية سنة 1976 ماجستير في الأدب الأندلسي، سنة (1982) دكتوراه الدولة في الأدب الأندلسي سنة 1994

الدرجات العلمية

◀ معيد بتاريخ: 1/1/1977 - محاضر 1982 أستاذ مساعد 1985

◀ أستاذ مشارك 1995

◀ أستاذ 2002

◀ رئيس قسم اللغة العربية بكلية الدعوة الإسلامية بطرابلس 1995

◀ خبير بالمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو- 2001.

◀ مدير مكتب المؤتمرات بجمعية الدعوة الإسلامية العالمية 2013

◀ عميد كلية الدعوة الإسلامية منذ 2014

◀ نائب رئيس مجمع اللغة العربية الليبي 2017

◀ رئيس مجمع اللغة العربية منذ سنة 2020

◀ العضويات العلمية والثقافية عضوية تحرير مجلة الضاد خلال عامي (74-1975)

◀ عضوية تحرير مجلة كلية الدعوة الإسلامية منذ 1984 وحتى 2001 ورئيس تحريرها منذ سنة 2014.

◀ عضو الهيئة الاستشارية في موسوعة الكويت للعالم الإسلامي منذ سنة 2010 ومنسق فريق ليبيا فيها.

◀ عضو المجلس العلمي للمعجم التاريخي العربي في الدوحة منذ سنة 2012

◀ عضو الهيئة الاستشارية لمجلة جامعة ساي الإسلامية بالنيجر - عضو الهيئة الاستشارية لمجلة مجلس اللسان العربي بموريتانيا

س1: حدثنا عن مجمع اللغة العربية من حيث النشأة، والأهداف، والغايات؟

كانت فكرة إنشاء مجمع اللغة العربية الليبي تجول بخاطر بعض المثقفين، وكتب عنها د. محمد وريث مقالة سنة 1990م في مجلة «تراث الشعب»، بعنوان: أما أن أن يكون لنا مجمع للغة العربية، وفي التسعينات نشط الدكتور / علي فهمي خشيم المؤسس في عرض الفكرة على الجهات المسؤولة حتى حظيت بالقبول، ثم صدر عن اللجنة الشعبية العامة القرار 124 لسنة 1994م بتأسيس مجمع اللغة العربية الليبي، ووقعت بعد ذلك زيارات إلى المجمع العربية من بعض الأساتذة الجامعيين، ولكن البداية الفعلية لعمل المجمع كانت سنة 15 / 6 / 2002م في حفل بهيج، حضره رئيس اتحاد المجمع العربية / د. شوقي ضيف، وضيوف آخرون من داخل بلادنا الليبية، وخارجها. وقد عقد اتحاد المجمع العربية أول اجتماع له خارج مقره في ضيافة المجمع الليبي سنة 2007م بمناسبة اختيار طرابلس عاصمة للثقافة العربية.

تكوّن المجمع من عشرين عضواً، ينتمي خمسة عشر عضواً منهم إلى ليبيا بلد المقر، وخمسة أعضاء إلى بلاد عربية أخرى، كما ينتمون إلى تخصصات علمية مختلفة؛ إذ كان الدكتور / علي فهمي خشيم الرئيس المؤسس متخصصاً في الفلسفة، ومعه صفوة من رواد الثقافة في بلادنا الليبية بعد الاستقلال، ومنهم الأساتذة والدكاترة / خليفة محمد التليسي، وهو متنوع الثقافة، وعلي ابن الأشهر، وهو أستاذ الرياضيات المعروف، والأديب الكبير / علي مصطفى المصراقي، وهو على تخصصه في أصول الدين يغلب عليه التاريخ والأدب، وإبراهيم رفيعة، وهو لغوي بارع، وإبراهيم الغويل، وهو قانوني، ومحمد عبد الكريم الوافي، وهو المؤرخ والمترجم المتميز في مجاله، ومحمد الدناع، المختص في الدراسات النحوية، ومحمد أحمد الشريف المتخصص في الفلسفة، والمهندس / جاد الله عزوز الطلحي، والمؤرخ / محمد بازما، وأحمد دياب الطبيب، وسواهم من ذوي التخصصات العلمية المختلفة.

ومجمع اللغة العربية الليبي ليس بذعاً في تنوع التخصصات، فبقية المجمع العربية كذلك؛ إذ أغلب رؤساء المجمع العلمي السوري من أساتذة العلوم البحتة، أو التطبيقية، ومن أهم أهداف المجمع العلمي العراقي إدخال لغة العلوم البحتة، والتطبيقية، ومصطلحاتها إلى اللغة العربية، وآخر رؤساء مجمع اللغة العربية في القاهرة د. / عبد الوهاب عبد الحافظ أستاذ في الزراعة.

وبذلك نلاحظ هنا أن هذه المجمع كانت -وما

تزال - هيئة علمية متكاملة تجمع محبي اللغة العربية، ومستعملها في مؤلفاتهم، وترجماتهم من شتى التخصصات، ولم يكن أغلبهم من المتخصصين في اللغة العربية، ولكن يجمعهم الحرص على تحويل العلم إلى لغة الشعب؛ ولذا كان المجمع الليبي - في نظر رئيسه المؤسس - ليس قسماً آخر من أقسام اللغة العربية، وإن كان يهدف إلى خدمة اللغة العربية وتطويرها.

فمن أهم أهدافه:

1. المحافظة على سلامة اللغة العربية، والحرص على وفائها بمطالب العلوم والآداب والفنون في تقدمها وملاءمتها لحاجات الحياة في العصر الحاضر.

2. دراسة المصطلحات العلمية، والفنية، والأدبية، والحضارية، والسعي لتوحيدها في الوطن العربي.

3. العناية بالدراسات العربية الإسلامية، وإحياء التراث العربي الإسلامي، في العلوم والفنون والآداب، وعلاقة ذلك بتاريخ الحضارة العربية الإسلامية، وصلتها بالحضارات الأخرى، وتأثيرها فيها، وتأثرها بها.

4. البحث في كل ما من شأنه أن يطور اللغة العربية، ويساعد على انتشارها.

5. وضع معجمات لغوية عامة، ومعجمات للمصطلحات العلمية المتخصصة، ونشر بحوث في تاريخ بعض الكلمات، وما طرأ على مدلولاتها من تغيير، وتحديد ما يمكن استعماله، أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب.

ولا يمكن أن يتكفل أساتذة اللغة العربية وحدهم بحمل هذه الأهداف، فالأولى بالمصطلحات العلمية أن يختارها، وترجمها من يتعامل معها في دراسته، وتدرسه، وتأليفه، وبجته، وهو أستاذ العلوم البحتة أو التطبيقية، فهو الأجدر بالدفاع عنها إذا اختارها لتطبق في جامعته، أو تنشر في المجلة العلمية التي ينشر فيها، مع وجود أعضاء في اللغة العربية، واللغات الأخرى لإنجاح عملية التعريب والترجمة.

س2: ما أهم الأنشطة والبرامج التي يقدمها مجمع اللغة العربية؟

يقدم المجمع أنشطة بمعادل محاضرة واحدة في الأسبوع، بالإضافة إلى المؤتمرات والندوات التي يعقدها، أو يشارك فيها في الداخل والخارج، كما ينشر المجمع مجلته السنوية، ومطبوعة البحوث المجمعية، وينشر الكتب التي يغلب عليها خدمة اللغة العربية وآدابها، ويعمل على مشاريع علمية؛ لتطوير اللغة العربية، أهمها ما أقره مجلس المجمع في آخر العام المنصرم 2024

م، وهو: مشروع معجم المصطلحات العلمية المشروحة، وهو ما سيجعل المجمع في طليعة المجمع العربية التي تهتم بهذا النوع من المعاجم؛ لأن المعاجم التي تجعل المصطلح الأجنبي إزاء معناه العربي كثيرة في البلدان العربية، ولكن فكرة «المعجم العلمي المشروح» ما تزال نادرة على المستوى العربي.

ويهدف هذا المعجم إلى إعطاء نبذة موجزة عن المصطلح بعد تقديم المصطلحين العربي والأجنبي، مع بعض الأشكال، والصور، والرسومات التوضيحية.

والمشروع الثاني هو: امتحان القدرة اللغوية؛ فالحاجة إليه ماسة لتقويم قدرة الطالب عند دخوله الجامعة، وللموظف عند تقدمه للوظيفة، وهو يتدرج إلى مستويات تمتحن القدرة اللغوية على درجات متباعدة، ويعطي مع الامتحان الكتابي فكرة دقيقة إلى حد كبير عن المتقدمين إليه.

هذا إلى جانب مشاريع علمية أخرى مهمة يسعى المجمع إلى إنجازها مع مؤسسات أخرى ذات اهتمامات مشتركة.

وللمجمع عضويات في مؤسسات نظيرة له في البلاد العربية، منها عضويته في اتحاد المجمع العربية، وعضوية رئيسه في معجم الدوحة التاريخي، وعضوية نائب الرئيس في معجم اتحاد المجمع العربية الممول من إمارة الشارقة.

س3: يحتفي مجمع اللغة العربية سنوياً باليوم العالمي للغة العربية. ما مغزى ودلالات هذا الاحتفال؟

الثامن عشر من ديسمبر من كل عام هو يوم الاعتراف الأممي باللغة العربية الشريفة، وأولى من يُحييه في العالم هم العرب، والمسلمون، لأنه كافٍ في العناية بهذه اللغة المهمة؛ ولكن لأنه رمز دولي للتذكير بأهمية هذه اللغة الراقية، وتاريخها العلمي، والثقافي، والفني الأصيل.

س4: كيف تنظر لواقع العربية في عالمنا المعاصر (العربي والإسلامي)؟

اللغة العربية - بوصفها موروثاً لغوياً، ودينياً، وثقافياً، وإنسانياً - تحتل مرتبة متقدمة بين أكثر لغات الأمم المتحضرة في عالمنا المعاصر، وهي السادسة بين أبرز اللغات العالمية في منظمات الأمم المتحدة، وهذا ما دفع الجامعات إلى تخصيص أقسام دراسية للعربية في أروقتها، وتخصّص لها الدول أركاناً في المكتبات العالمية.

أما عن وضع الناطقين بها، ومستوى إحسانهم لها فهو الذي يعاني مشاكل كثيرة، أثّرت على اندماجها في حياة أبنائها، ومناهجهم العلمية، ومؤلفاتهم وقدراتهم على تطوير اللغة، وإدماجها في الحياة.

وسبب هذا الحال ما دام الإنسان العربي في مرحلة التخلف العلمي، والصناعي، والحضاري، حيث ما يزال بعضنا يشكك في كروية الأرض ودورانها، ويستهلك حضارة العالم المتقدم، ولا يشارك في تطويرها؛ ولذلك فلا نستغرب أن يكون هذا النموذج مثلاً عاجزاً على إدخال لغته في معترك الحياة بهذه الهمة والمعرفة الضعيفتين.

س5: هل أثّرت اللغات الأخرى على العربية؟

التأثير أنواع، فإن أردتَ مدى الاستفادة من تطوّر اللغات الأخرى في طرق تدريسها، وعنايتها بوسائل التوضيح، وتطور علم اللسانيات، وتطور الأجناس الأدبية، فهي موجودة - على قلتها - ونافعة، وإن أردتَ وجود الدخيل والتلوّث اللغوي في عناوين المَحالّ، والشركات، والمقاهي، والمطاعم، وعلى ألسنة الناس، فهو كثير وضارّ، وإن أردتَ الإشارة إلى أثر الترجمة من العربية، وإليها، فهو قليل، ولا يليق بأمة عظيمة تمتلك ما يكفي لترجمة أهمّ العلوم والآداب العلمية المتحضرة في يومها لو وجدت الهمة والإرادة لدى أصحاب القرار، فالعالم العربي يمكنه أن يكون مؤسسة ضخمة ممولة من كلّ أعضائه؛ لترجمة الجديد والمهم في العالم في سنته على الأكثر، ويمكنه تخصيص مؤسسة وطنية في كلّ دولة لترجمة علم أو فنّ؛ لتتولى ترجمته بنفسها، أو بمساعدة الدول العربية، وهذا لم يحدث. وتُركت الترجمة للجهود الفردية غير المنسقة، الأمر الذي دعا إلى تشتيت الجهود، وتكرار الموجود.

س6: من وجهة نظرك الخاصة كيف تحافظ الأمة على لغتها؟

فيما تقدّم إشارات إلى الإجابة عن هذا السؤال، وأولها تطوير التعليم، بمراعاة خصائص اللغة العربية في أثناء تعليمها، فهي لغة تعتمد على المشافهة، وتتكوّن السليقة فيها من الحفظ والتلقّي لنصوص القرآن الكريم، والشعر العربي، وذلك حتى تتكوّن الملكة، ويصبح النطق بالفصحى سليقياً، يجري على لسان المتحدث بها، وعلى قلمه.

ونلاحظ أنّ المناهج الحديثة التي اعتمدتها البلدان العربية بعد استقلالها لا تساهم في ذلك، حتى قال بعض التربويين - متهكمًا -: لا يعني حفظ القرآن الكريم إلّا حفظ نسخة أخرى منه تضاف إلى النسخ الألكترونية، وهو تجاهل كبير لطبيعة اللغة العربية، وحاجتها إلى تكوين السلائق والممكّات عن طريق الحفظ.

كما أنّ الترجمة عامل مهمّ من عوامل إدخال لغة العلم الحديث وأساليبه في حياة الناس وتطوير اللغة، وإذا لم نعمل على إدخال مصطلحات العلم ومستحدثاته إلى لغة الشعب، فستظل تلك المصطلحات غريبة غير

مألوفة في حياة الناس.

وثالث العوامل المؤدية إلى المحافظة على اللغة العربية هو: إرادة أصحاب القرار في البلدان العربية، وحرصهم على خدمة لغتهم في كل المجالات، ويرتبط هذا بالوعي والانتماء للعروبة والإسلام. وما يقال عن أصحاب القرار يقال عن أساتذة الجامعات، والمفكرين، والتربويين، فالذي لا تدفعه همته لمقاطعة مشروب يدعم عدوه، لن تدفعه إلى المحافظة على لغته أمام اللغات الدخيلة.

س 7: تشير بعض الإحصائيات إلى أن اللغة العربية يتحدث بها نحو 467 مليوناً، وأنها تأتي في المركز الرابع عالمياً؛ ومن أكثر اللغات انتشاراً، لكنها في ذات الوقت تعتبر من أصعب اللغات تعلماً؛ بسبب تعقيد قواعدها، في رأيك هل فعلاً اللغة العربية لغة معقدة؟

ديباجة هذا السؤال صحيحة، أما القول بأن اللغة العربية أصعب اللغات ففيه نظر؛ لأنها انتشرت بعد الفتح الإسلامي بسرعة بين دارسيها من غير العرب، حتى أصبح بعضهم من المُعَدِّين لها في القرن الثاني الهجري، وتحولت الشعوب التي فتحت في عهد الصحابة إلى لغة القرآن الكريم من المحيط إلى الخليج، وذلك لقوة الإسلام وعزيمة المنتمين إليه، ولكون العربية ليست بذلك العسر الذي يمنع من تعلمها، فإن كانت العربية من أصعب اللغات، فماذا يقال عن اللغتين الصينية، واليابانية؟ حيث يحفظ الصيني 4,000 حرف، والياباني نحو 3,000 حرف.

ونحن لا نطلب من غير المتخصصين أن ينطقوا بلغة الإعراب وتعليقاتها، ولكن يمكنهم أن يعربوا عن أنفسهم بلغة مفهومة بعد سنة من تعلمها تعلماً صحيحاً، ويمكنهم أن يلجؤوا إلى التسكين ليسلموا من المؤاخذه، أما المتخصص فعليه من الإتقان ما على المتخصصين في كل علم.

وملاحظة أخيرة في هذا المجال هي: أن مؤلفي المناهج العلمية غير متخصصين، أو غير متدربين على خدمة اللغات، وغير مستفيدين من تجارب الآخرين في خدمة لغاتهم، ونحن نرى أن الإقدام على تأليف المقررات التعليمية يتطلب قدرات عالية، وهو ما لا يتقنه هواة التأليف لمجرد حصولهم على شهادة من أقسام اللغة العربية، وهذا غير كافٍ ولا ضامن لتأليف كتاب مفيد في تعليم العربية، بل ربما كان مضرًا بالعملية التعليمية، كما لا يخفى.

س 8: يرى بعضهم أن اللغة العربية متخلفة في مجال استخدامات الحوسبة، وأنها تنتظر الغرب ليحل لها

مشكلة الكتابة من اليمين إلى اليسار التي تؤخر اللغة العربية عن مواكبة تقدم التقنية الغربية؛ فهل توافقون على هذا؟ وإن وافقتم، فهل لمجمع اللغة العربية إسهام في تطوير حوسبة اللغة العربية؟

العربية قد تكون متخلفة في مجال استخدام الحوسبة إلى حد ما، في حدود معرفتي المتواضعة، ولكنها تلبي في وضعها الحالي معظم المطلوب منها في القراءة، والكتابة، والاستعانة بالتطبيقات، والرموز، والأشكال، والإحصاءات، والعروض، والاستفادة من معظم الامكانيات الحاسوبية الضرورية، وهي مع ذلك تنتظر الحاسوبيين المَهَرَّة من أبنائها في الكثير من المجالات الأخرى، فعدد الأقسام العلمية، والمعاهد المتخصصة في الحوسبة في البلاد العربية كبير جداً، وعدد العرب الذين يعملون في مؤسسات حاسوبية في العالم المتحضر كثير أيضاً، ويمكننا بهذه، وتلك أن نخدم لغتنا في هذا المجال خدمة جلية، ولكن نتقصنا حتى الآن الإرادة، وقوة الانتماء لأمتنا وأهدافها البعيدة.

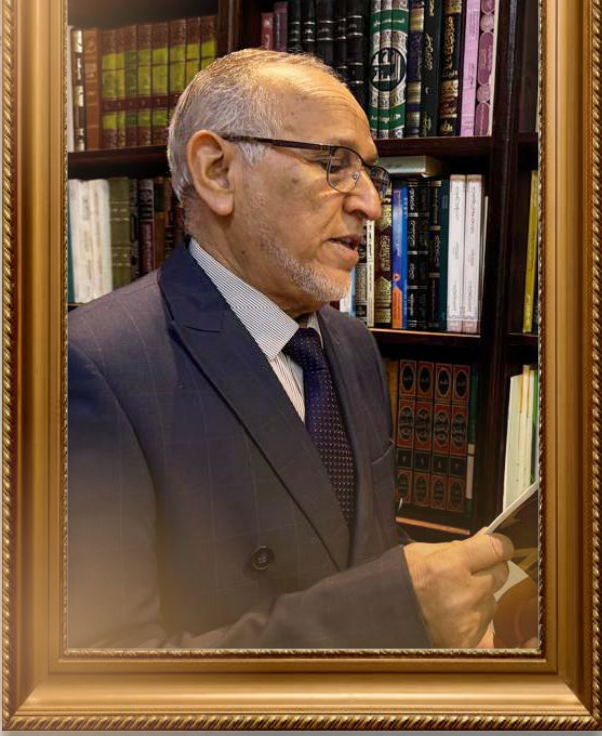
ومجمع اللغة العربية يشارك في بعض الأنشطة التي تدرس هذه المشكلة، ولكنه ليس صاحب قرار في حسمها، وينوي مع ذلك تخصيص نشاط أو أكثر في هذا المجال، إن شاء الله.

س 9: هناك إدخال لكلمات من لغات أخرى، كالإنجليزية، والفرنسية إلى اللغة العربية كل عام؛ وفي كل عام يزيد معدل الإدخال هذا، مع أن البديل العربي سهل ويسير، لكنه لا يُستخدم؛ فهل يشكل هذا خطراً على العربية؟

ما تثيرونه في هذا السؤال هو التلوث اللغوي باللغات الدخيلة، وقد كان موضوع ندوة للمجمع في العام المنصرم؛ ولهذا التلوث اللغوي أثره السلبي وخطورته على لغة الشعب، والبديل هو الوعي بخطورة انتشار هذا التلوث، وعلمنا في ليبيا تنفيذ القانون 24 لسنة 2002م القاضي بحماية اللغة العربية من هذه المخاطر، وتنمية الوعي بالانتماء إلى الهوية اللغوية والدينية والوطنية، واحترام الخصوصيات الثقافية بصفة عامة.

س 10: هل تفي اللغة العربية بمتطلبات العلوم والفنون في ظل هيمنة اللغة الإنجليزية على جديد العلوم والتقنية؟ وكيف السبيل إلى تجاوز هذه الهيمنة؟

اللغة العربية كانت وافية بمصطلحات العلوم في عصرها الذهبي، ولو اتفقت الدول العربية على استعمال المصطلحات المعربة في المراجع اللغوية، لحلت جانباً كبيراً من المشكلة، ولكننا نعود إلى مشكلة الإرادة والانتماء للهوية اللغوية، ولا ندعي بأن المعاجم قادرة على ترجمة



كلّ المصطلحات العلمية المتزايدة في وقت قصير، فهذه عملية متواصلة، وقد كانت بدايات ترجمتها منذ زمن، ولن تنتهي بسهولة، والسبيل إلى تجاوز الهيمنة الأجنبية هو تقوية إرادة التعريب، والعمل على تنفيذه بالجهد، والمال، والعقل.

ولا يفهم من ذلك أننا نسعى إلى تغييب النصّ الأجنبيّ من المقرّرات التعليمية؛ فخطر ذلك كخطر التعريب، ولكن علينا أن ننقل العلم إلى لغة الشعب، ونحتفظ بدراسة المادة بلغتها الأجنبية أيضاً؛ حتى يستطيع الطالب والأستاذ أن يدرسوا العلم باللغة العربية، ولغة العلم في آن واحد. والكتاب المزدوج اللغة هو الذي يجمع بين الحُسنيين، ويوفّر على الطالب الوقت الطويل، والجهد الكثير الذي ينفقه في العكوف على المعاجم بقصد الترجمة الذاتية التي قد لا تكون موفّقة .

س11: كيف تنظر إلى محاولات تقوية اللغات المحلية في المجتمعات المسلمة التي تتحدث بالعربية، مثل كتابة اللغة النوبية، أو الأمازيغية، أو غيرها؟ هل يشكّل هذا خطراً على العربية؟

ثقافة لغات المكونات المحلية إثراء لتراث مجموع الشعب، وما زالت هذه اللغات حيّة، ولها آدابها وفنونها منذ أمد بعيد، ولم يشكّل وجودها خطراً على اللغة العربية، ولكنها كانت شفوية، أو مكتوبة بالحرف القرآنيّ إلى عهد قريب، ولدينا مخطوطات أمازيغية بالحرف القرآنيّ حتى الآن، في الفقه، والتاريخ، وغيرها، ورأينا في الآونة الأخيرة مَنْ غيّر هذا الحرف القرآنيّ إلى خطّ التيفناغ، وهو خطّ محليّ له تشابه وتطابق أحيانا

مع خطوط اليمن، وللإخوة الأمازيغ، والطوارق حريّتهم الكاملة في الكتابة على النحو الذي يرونه مناسباً لهم، ما دام محلياً، وتبقى لغتهم وثقافتهم محترمة؛ لأنها ابنة هذه البيئة، وقد قلت في هذا المعنى ..

وفي التّنوّع إثراءً لوحدتنا من الرّوافد جاء النهر بالذهب

ولقد كان هذا الحرف القرآنيّ مستعملاً حتى في اللغات الإفريقية جنوب الصحراء، في معاملات الناس، ومراسلاتهم التجارية، ووثائقهم الدينية، وغيرها قبل الغزو الاستعماري، وقبل أن يفرض الاستعمار الفرنسيّ بالذات لغته، وحروفه على المسلمين، فهو مَنْ فرض استعمال الحرف اللاتيني؛ ليعلن حرباً على الحرف القرآنيّ، والثقافة الإسلامية، ومَنْ أراد أن يصطفّ إلى جانب المستعمر الفرنسيّ في محاربة الحرف القرآنيّ، ويدخل إلى بلادنا الحرف اللاتينيّ، فهو يستفزّ مشاعر الأمة الليبية والإسلامية، ويستفزّ المشاعر الدينية لكلّ مكونات الشعب الليبيّ دون تمييز، وهو بذلك يسيء إلى بلده، ودينه، وتاريخه الثقافيّ .

وتبقى اللغة العربية الفصحى هي اللغة الجامعة التي تتفاهم بها كلّ مكونات شعبنا الليبيّ المسلم؛ لأنها لغة القرآن الكريم، ولغة الحديث الشريف، ولسان التراث الإسلاميّ بصورة أشمل، فلا اختلاف على أنّها اللغة الجامعة بين مختلف المكونات الليبية .

وفقكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله .





كتاب:

العنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي.. بين المبدأ والخيار.. «رؤية إسلامية»

المؤلف: عبد الحميد أحمد أبو سليمان

الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (هيرندن، فرجينيا)، ودار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة.
سلسلة قضايا الفكر الإسلامي، رقم: (١٧).
الطبعة الأولى، م٢٠٠٢ / ١٤٢٣ هـ، (١١٠ صفحات).

يتضمن كتاب العنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي.. بين المبدأ والخيار.. «رؤية إسلامية» للأستاذ الدكتور عبد الحميد أبو سليمان مقدمتين للطبعة الأولى والثانية، وفي هذا إشارة لما لقيه الكتاب، ومنهج تناوله لهذه القضية المهمة من حفاوة وتقدير من القراء، مما شجع المعهد العالمي للفكر الإسلامي على إصدار طبعة ثانية منه، وطبعات لاحقة بعد ذلك، كما يلاحظ أن الكتاب لم يُقسّم تقليدياً في شكل فصول ومباحث، بل عمد المؤلف لمناقشة القضايا مباشرة في شكل عناوين جانبية، وقد تضمن الكتاب 22 عنواناً جانبياً، يمكن أن نطلق عليها مجازاً مباحث الكتاب، بجانب خلاصة الكتاب ومنهجيته البحثية.

اتبع المؤلف منهجية متميزة في تأليف الكتاب، اشتملت على أبعاد عامة يرى أن الأمة تحتاج إلى مراعاتها في مناهجها الفكرية والبحثية والتعليمية حتى تضبط منهجها العلمي، وتحرره من بعض أوجه القصور التي يعاني منها، لأن عدم تحرير المنهج وسلامته ووضوحه يؤدي إلى الفوضى الفكرية وجزئية النظر، التي تحيل الدراسات إلى سفسطات ودعاوى يجد كل باحث فيها دليلاً يدعم وجهة نظره، وينتهي الأمر بالنظر والحوار إلى متهاتات تعتم الرؤية وتشئت السبل، وتكاد تمنع اللقاء.

ناقش أبو سليمان موضوع الكتاب معتمداً على القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية، وما قرره الدراسات السياسية، لتجلية أمهات القضايا حتى لا تظل معلقة وغائمة في ذهن القارئ ونظره، واعتمد المؤلف - وعلى أساس من الوحدة والتضافر والتكامل المعرفي - محكم القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية

متناً وسنداً مصدراً دينياً حاكماً، إلى جانب اعتماد أسس العقل وطباع النفوس وسنن المجتمعات والكانونات، مما يعرف بالعلوم الإنسانية مصدراً إنسانياً مشهوداً تفهم به الوقائع الإنسانية الحياتية الزمانية والمكانية، كما تدرك به مقاصد الوحي وثوابت هديه في المعاش والمعاد.

وفي التعامل مع الوحي اعتمد أبو سليمان منهج محكم القرآن الكريم لكونه الأصل الإسلامي الأسمى والأداة المنهجية والمقياس الموضوعي الأول والأهم لفهم معاني الأصول الإسلامية الأخرى، بجانب نصوص السنة النبوية، والسياسات النبوية العامة، والسنة النبوية العملية في السلم والحرب، ومقاصدها في العدل والتكافل والرحمة، ومنهج الشورى وإدراك دلالات نصوص السنة وجزئياتها الزمانية والمكانية، بصفتها تطبيقاً علمياً نموذجياً مشهوداً للرسالة، وبياناً للدين ونبراساً للقرون والأجيال، وجعل تلك السنن والمقاصد والسياسات النبوية - ضمن الإطار القرآني المحكم - ضابطاً أساسياً لما يكون قد خفي على الدارسين والباحثين من وجوه الضبط في رواية الحديث بالمعنى أو بسبب الوهم أو الغفلة أو التساهل أو الدس، وسواها من وجوه الضعف الإنساني.

التزم أبو سليمان في كتابه منهجية شمولية تحليلية منضبطة تعتمد على مصادر المعرفة الإسلامية، وهي: مصدر الوحي، ومصادر معارف عالم الغيب والشهادة (المعارف الإنسانية) في العقل والطبائع والوقائع، وخاصة ما وفره العلم التجريبي والبحث العلمي المستفيض في جوانب المعرفة الإنسانية في هذا العصر، وقصد أبو سليمان من التزام هذه المنهجية العلمية التمكن

من الإلمام بأكبر قدر ممكن من جوانب القضية المطروحة للبحث حتى يمكن وضعها في صورتها الكلية، وتحليلها من جوانبها الدينية والإنسانية، والابتعاد عن منهجية الجزئية والقياس الجزئي، وصولاً لرؤية إسلامية إنسانية حضارية تتسم بروح دين العدل والاعتدال والإصلاح والسلام، وقال المؤلف: «هذه هي ثمرة المنهجية الإسلامية الشمولية التحليلية المنضبطة... وإذا استقام منهج الفكر استقام الفكر، وإذا استقام الفكر فلا هتداء إلى الصواب يصبح أمر وقت وجهد واجتهاد».

يرى أبو سليمان أن قضية العنف والصراعات الدامية في حياة المجتمعات الإنسانية ليست أمراً نادراً الحدوث، لا يتوقع المرء وقوعه في حياة المجتمعات والحضارات وتدافعاتها، بل إن التغيرات والمنعطفات الكبرى في التاريخ، كثيراً ما تقترب في الذهن بأحداث وصراعات دامية، فإذا أضيف ذلك إلى ما زخر به تاريخ الأمة الإسلامية من أحداث الصراعات، وممارسات العنف والاقترال بين الكثير من الفئات والطوائف، وما شكلته تلك الصراعات من فترات الممالك والإمارات والسلطنات، جعل تلك الصورة الدامية، ابتداء من مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وما تلاها من أحداث.

ركز أبو سليمان اهتمامه في هذا الكتاب على ما أصاب كيان الأمة من تغيرات في تكوين القاعدة الجماهيرية السياسية، وما ترتب على ذلك من اختلال نوعية القيادة، واختلال توجهاتها، وتشوه بنائها، مما انتهى بالأمة إلى الانحراف عن مسيرتها واختلال بناء كيان صفواتها، وبالتالي إلى اختلال بناء الأمة وتضاؤل قوى الأداء والإبداع

فيها، وإلى تمزق عرى نسيجها الاجتماعي لينفطر عقدها وتتمزق وحدتها، وتنحط نظمها وتنهار مؤسساتها الاجتماعية، وينحط نتيجة كل ذلك أدائها الحضاري، وتسقط مضرجة أمام هجمة التحدي العلمي والتقني المنطلقة من بلاد الغرب، كما أن تاريخ الأمة الإسلامية، زاخر بالفتن والثورات والصراعات الدامية، مع إخفاق جل محاولات الإصلاح السياسي الإسلامي في بلوغ غاياتها الكبرى حتى اليوم .

عرض أبو سليمان الصورة الكبرى التاريخية لأحداث حركة ظهور الإسلام، وأسلوبه في إحداث التغييرات التي هدف إليها، وكيف أدار رسول الإسلام، الصراع السياسي العقدي الإصلاحي في المراحل المختلفة التي مر لها بناء دولة الإسلام ومجتمعه في مكة والمدينة، ومع من جاوره في غير بلاد العرب، من الأصدقاء والأعداء، وأتباع مختلف الديانات، حيث يمكن من خلال هذه الصورة الكبرى، ومتابعة مسيرة الإسلام، على مدى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فهم الأحداث والتفاصيل ودلالاتها على وجهها الصحيح، وبشكل متوازن، وبأقل قدر من مزالق الخطأ والشطط، لأن المهم في هذا المنهج الكلي أن يتم رسم الصور الكبرى للقضايا المطروحة والحرص على الإحاطة بأكبر قدر ممكن من أبعاد هذه الصور، ودلالات هذه الأبعاد، والابتعاد قدر الإمكان عن مزالق التسطيط والتبسيط، وتجاهل دلالات الأبعاد والعوامل المختلفة التي تحيط بكل صورة أو حدث وتؤثر في فهم معناه ودلالاته ومعنى دلالات الخطط والسياسات التي تعاملت معه وانبثقت عنه .

كما تتبع المؤلف أسلوب الرسول صلى الله عليه وسلم ووسائله في

إدارة الصراع السياسي داخل المجتمع والدولة في المدينة بكافة فئاتها، بما لهم من انتماءات ومصالح، فئوية وقبلية وعقدية متباينة، بين مسلمين في المدينة ويهود حولها، وبين مهاجرين من قريش وأنصار من الأوس والخزرج، وبين أولياء مؤمنين ومنافقين متربصين، للمقارنة بين النظرة النبوية لإدارة الصراعات السياسية داخل المجتمع بين مجتمع مكة ومجتمع المدينة، حيث التزم داخل مجتمع مكة بنبذ العنف ورفضه كوسيلة للتعامل مع مشاكل المجتمع الواحد، وضرورة التزام الحلول السياسية لهذا اللون من الصراعات، وترك التعامل مع أي انحراف أو ظلم يستخدم فيه العنف من قبل أية فئة من فئات الأمة المسلمين إلى رحم الأمة وقادة الرأي العام والشورى فيها، كما سعى المؤلف إلى التعرف على العوامل المهمة المشتركة في السياسات النبوية ودلالاتها، التي تحدد معنى الأحداث ومعنى هذه السياسات، وأسباب اختيارات الأساليب والوسائل، التي لجأ إليها الرسول، في كل مرحلة من مراحل إدارة الصراع الإصلاحي الذي استهدفته الدعوة الإسلامية .

من أبرز ما توصل إليه المؤلف أن للإسلام ورسول الإسلام صلى الله عليه وسلم مبادئ هامة، وخطة وسياسة وإستراتيجية واضحة محددة، التزم بها في إدارة الصراعات السياسية الهادفة إلى التغيير والإصلاح الإسلامي ومقاومة الفساد، ومع ثبات الأهداف والمبادئ؛ فإن الخطة والسياسة لم تكن خطة وسياسة نظرية جامدة، تتجاهل الطبيعة الأساسية للمواقف والظروف التي تتعامل معها، فهي تتشكل وفقا لطبيعة المواقف التي تواجهها لتتجاوب معها وتؤثر فيها، دون أن تخل بأهدافها

الثابتة، وبقواعدها الأساسية التي تركز إليها لضمان تحقيق أهدافها الإصلاحية، بأكبر قدر ممكن من الفاعلية والكفاءة.

لقد اتضح للكاتب من خلال السياسات النبوية والتوجيه القرآني لهذه السياسات أن هناك تصورا واضحا في اختلاف ميدان السياسة الداخلية عن ميدان السياسة الخارجية، ذلك أن العوامل الأساسية المؤثرة في كل ميدان تختلف طبيعتها عن العوامل الأساسية المؤثرة فيما سواه من الميادين بسبب ما تمليه طبيعة كل ميدان وموقف، بجانب أن الإصلاح والتغيير الذي يمكن في الأرض لا بد لدعائه من استخدام الوسائل السلمية والصبر عليها؛ فما من مجتمع يلتزم ضميره الوسائل السلمية السياسية سبيلا للإصلاح والتغيير إلا حققت مسيرته الحضارية النجاح وحققت مجتمعه الشورى؛ فليس غير الشورى وسيلة صحيحة، لتحقيق التقدم والعمران المبني على العدالة والتكافل والشورى.

يصف أبو سليمان كتابة بأنه إسهام في الحوار الدائر في العالم الإسلامي والبلاد العربية في هذه الأيام، وعلى وجه الخصوص، ما يدور من حوار ولغط بشأن العنف الذي يعصف بأمن الكثير من الدول العربية والإسلامية، واستقرارها، ويستنزف طاقاتها ويثبط همم أبنائها، وكذلك للإسهام في الحوار الدائر بشأن شعار (الديمقراطية) الذي تطلق صيحاته - لأغراض خاصة - وسائل الإعلام الغربية وما يتبعها وينقل عنها ويجري في ركبها فكريا من وسائل الإعلام الموجه سياسيا في البلاد العربية والإسلامية، والتي تتخذ من قبل صناع السياسة وسيلة هامة للتدخل في شؤون هذه البلاد، لتحقيق الهيمنة الثقافية

والاقتصادية الغربية خدمة بالدرجة الأولى لسياساتهم ومصالحهم وهممنتهم القومية والتي تتجاوب للأسف معها بكثير من حسن النية - وانتهازا للفرصة - العديد من شراخ هذه المجتمعات العربية والإسلامية بسبب ما تعانيه هذه الشراخ وشعوبها من خسف حكوماتها، وما تمارسه من أساليب القهر والإرهاب والفساد والاستغلال.

كما أن الكتاب سعى لعرض الموضوع بشكل أكثر شمولاً وإحاطة بجوانبه المختلفة، وناقش أهم النصوص المتعلقة بالموضوع، وعرض فيه ما توصل إليه من فهم للكليات التي يرى المؤلف أنها تعين على تفسير بعض الجوانب المهمة في ممارسات الأمة، التي أدى سوء فهمها وخطأ ممارساتها حتى اليوم إلى فشل حركات الإصلاح السياسي في تاريخ الأمة في بلوغ غايتها الكبرى وتحقيق النهضة والإصلاح، وإرساء قواعد وقيم التوحيد والعدل في الأمة؛ فما من سبيل فعال أمام الأمة الإسلامية إلا سبيل إصلاح فكرها ومناهجه، وتنقية ثقافتها، والالتزام بالوسائل السلمية الشورية التربوية لإنجاح جهود الإصلاح والتغيير فيهما، بذلك يمكن - مجدداً - إعادة بناء إنسان الاستخلاف والهداية والعمران.

العنف في الفكر السياسي الإسلامي.. مراوحة بين المبدأ والخيار:

يشير أبو سليمان في هذه الجزئية من كتابه إلى أنه مع نهاية قرن من الصراعات السياسية والثورات والحروب الأهلية بدءاً بأفول نجم الخلافة الراشدة ثم أحداث ثورات عديدة من أهمها ثورات الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير ومحمد

النفس الزكية - رضي الله عنهم أجمعين - وانتهاء بسقوط الدولة الأموية، ثم قيام الدولة العباسية التي لم تختلف في جوهرها عن النظام الأموي، ظهرت فتوى تحريم الفتنة والخروج على السلطان ولو كان ظالماً. ولم يكن هذا الموقف حباً في الظلم، ولا استهانة بشأه، ولكنه كان النتيجة الطبيعية لإخفاق الثورات الإصلاحية على الأنظمة المستبدة المبددة، حيث أصبح من الواضح أن هذه الثورات والحروب الأهلية لم تحسم أمراً ولم تغير من طبيعة الأنظمة السياسية والاجتماعية شيئاً ذا بال، ولم يكن لها من ثمرة هامة تذكر إلا إراقة الدماء.

يعتقد أبو سليمان أنه ونتيجة للانقسام بين (العلماء) وهم (القادة الإسلاميون الفكريون العقائديون للأمة) وبين (السلطين) وهم (القادة السياسيون للأمة) استقل العلماء الجوانب الشخصية للفرد المسلم، ونجحوا في الانفراد بتوجيهها بما لهم من العلم والإخلاص وظهر اليمين، وتركوا مرغمين شؤون الحكم والسلطة والنظام العام (للملوك والسلطين) يتصرفون فيها كما يعنّ لهم ويتفق وأهواءهم، مما أورث النفسية الإسلامية - فيما بعد - اعتباراً أنظمة الحكم والنظام العام أنظمة اغتصاب غير مشروعة. ويعتبر تشكل مثل هذه النفسية في ظل هذه الظروف التاريخية - بغض النظر عن أسبابها - من أهم عوامل ضعف البعد الوجودي والجماعي والتكافلي العام في تكوين نفسية الفرد المسلم، ومن أهم أسباب ضعف الإنسان المسلم النفسي السلبي من النظام العام والمصالح العامة للمجتمع.

يُرجع أبو سليمان إتجاه العلماء نحو عدم استخدام العنف، طلباً للإصلاح إلى الخلط بين ثلاث

قضايا، هي: قضايا الصراع السياسي داخل الأمة أو داخل المجتمع السياسي، وقضايا الصراع السياسي بين الأمم والمجتمعات المتقابلة، وقضايا المدافعات الناجمة عن واجبات السعي بالدعوة نحو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحض على مكارم الأخلاق، أو إنكار المظالم والدعوة لإحقاق الحقوق. ثم يرى أن النتيجة العملية لهذا الخلط، كانت أن تعمى الرؤية المنهاجية، بحيث قد يتساوى أمر استخدام العنف في كل هذه الحالات، ويصبح اللجوء إلى العنف أو عدمه في أي موقف داخل المجتمع أو بين الأمم وعلى أي مستوى ولأية غاية إنما هو أمر خيار (إستراتيجية)، وليس قضية في أي حال منها ترقى إلى درجة المبدأ.

يؤكد أبو سليمان أن التذبذب والغيبش في الرؤية في فهم موضع العنف في كل حالة من الحالات الثلاث الأنفة الذكر، هو الذي يفسر في الأساس، لماذا ظل موقف أبناء الأمة هو المراوحة بين الاستسلام والمقاومة المدنية والمقاومة المسلحة في مواجهاتهم للأنظمة المستبدة ومظالمها ولكن دون تفريق بين ما هو من قضايا الإصلاح السياسي داخل المجتمع والكيان السياسي الواحد، وبين ما هو من قضايا الصراع والمواجهة السياسية بين المجتمعات والأنظمة والدول المتعارضة. وبين ما قد يتولد من مواجهات بسبب التصدي لمهمة الدعوة إلى المعروف والنهي عن المنكر، والصدع بكلمة الحق، والمساعدة على دفع المظالم، والحض على مكارم الأخلاق في حدود ما تقضي به طبيعة التعامل مع السلطة والسياسة الشرعية، ولا يرقى إلى مرتبة الصراع السياسي وتنازع السلطة داخل المجتمع.

ثم يدعو أبو سليمان لرؤية شمولية منضبطة واضحة للنصوص

الإسلامية مجتمعة، إلى جانب وعي دروس تاريخ العصر النبوي وما تبعها من عصور الدول الإسلامية وعيا مفاهيميا سليما، للوصول إلى رؤية واضحة مؤصلة في قضية استخدام العنف لحل النزاعات السياسية والتميز بينها وبين قضايا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتعلقة بروح المناصحة في المجتمعات المسلمة.

الشمولية في فهم دلالات النصوص وأحداث العهد النبوي المتعلقة بأساليب العنف:

تحت هذا العنوان يدعو أبو سليمان لدراسة منهجية شمولية تحليلية منضبطة للنصوص القرآنية والنبوية للوصول إلى رؤية واضحة، وفهم دلالات النصوص وعلاقاتها في هذه الجوانب الاجتماعية المعقدة المتداخلة، وضرورة ألا يكتفي بدراسة النصوص وحدها، بل لابد من استعراض التجربة النبوية بجمليتها، حيث مرّت هذه التجربة الإصلاحية النبوية بمراحل من الصراعات المبررة التي تنتظم المنهج النبوي في مختلف هذه المواقف والمراحل، وتقدّم رؤية متسقة تجعلها تجربة متكاملة تنتظم النصوص وتكشف عن المنهج النبوي الإلهي في إدارة معارك الإصلاح وحلّ الصراعات السياسية داخل كيان (الأمة)، وفيما بين الأمم أو المجتمعات السياسية والصفوات الحاكمة مع بعضها البعض. كما ترشّد جهود التناصح بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة، وتفرق بينها وبين حالات الفتن والصراعات السياسية.

يلفت أبو سليمان إلى أن ما يسمّى بأحاديث الفتنة التي رويت عن الرسول صلى الله عليه وسلم قبيل

وفاته والتي ينهى فيها مطلقا عن المشاركة المسلّحة في الفتن وما يدور فيها من الصراعات السياسية المسلّحة، والتي ينهى الرسول صلى الله عليه وسلم فيها أصحابه في المدينة عن اللجوء إلى العنف لحلّ فتن الصراعات السياسية بين الصفوات والنخب القيادية داخل المجتمع، ويأمر بوجود التزام ضبط النفس الكامل ولو تعرّض الطرف الداعي إلى الإصلاح للعدوان من قبل الآخرين، ومن تلك الأحاديث حديث أسامة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم أشرف على أطم من أطام المدينة فقال: «هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر». حيث يرى المؤلف ضرورة النظرة الشمولية إلى مجمل مثل هذه النصوص ومجمل التجربة النبوية منذ بدء الرسالة في مكة حتّى أيامه الأخيرة صلى الله عليه وسلم وهو يودع الدنيا في المدينة؛ فالمسلمين قد تعرضوا أولا في مكة للفتنة والعدوان، وكان الموقف القرآني والنبوي هو الإصرار على الدعوة إلى الحق وعدم اللجوء إلى الرد بالعنف مهما تعرض المسلمون للأذى والعدوان من قبل الصفوة الحاكمة القرشية، التي بلغ أمرها في أذى المسلمين حدّ الحصار والتعذيب والقتل. ومن الواضح أن هذا أمر بمعروف ونهي عن منكر، ودعوة إلى الإيمان بالله وإزالة للظلم والشرك على المستوى السياسي والعقدي في أرفع درجاته ومثل صراعا حادا بين الصفوة الحاكمة القرشية والصفوة الإصلاحية المسلمة.

ثم يشير أبو سليمان إلى أن الموقف القرآني والنبوي في مكة في عدم السماح باللجوء إلى العنف ردّاً على عدوان قريش على المسلمين لم يتغير، على الرغم من إسلام رجال محاربين وشجعان أمثال حمزة بن

عبد المطلب وعمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- وانضمامهم إلى صفوف المسلمين، والذين أرادوا تحدي قادة قريش وطالبوا الرسول صلى الله عليه وسلم بالسماح لهم بالرد على العدوان ومواجهة العنف بالعنف ومقارعة القوة بالقوة، وهناك شواهد في القرآن الكريم في الكثير من آياته على هذا الأمر الإلهي والمنهج النبوي بالصبر في ذلك الحال.

يرى أبو سليمان أن هناك سبب موضوعي وحكمة بالغة يجب الاهتمام إليها خلف إباحة الإسلام لأتباعه من المسلمين القتال واستخدام العنف ضد قريش وسواهم من المعتدين بعد أن خرجوا من مكة، بعد أن نهوا عنه وحرم عليهم ذلك وهم في مكة، بل إن القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم يأذنان لهم باستخدام العنف ويأمران به ويحضانهم عليه، فليس من المعقول أن يبيح الإسلام القتال في المدينة وقد حرمه في مكة دون أن يكون هناك حكمة ما.

يلاحظ أبو سليمان أن الوسائل التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في قتال قريش والمشركين حال وصوله إلى المدينة، وأقام فيها دولة المسلمين المستقلة تدل على علمه بهذه الوسائل وهو في مكة، وأن امتناعه عن استخدامها لم يكن عن جهل أو عجز بما في ذلك تدبير اغتيال الأعداء، ولكن من الواضح أنه لم يلجأ إلى شيء منها في مكة عن حكمة وقصد، فلم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يعدم -والمسلمون يتعرضون للأذى في مكة- رجالا مسلمين مسّهم الأذى، ولهم من قوة الإيمان ما يجعلهم يقبلون ويرغبون في أن يتعرضوا جبهة أو غيلة لكبار زعامات قريش من أمثال أبي جهل وأبي سفيان؛ فمأهي الحكمة من

منع الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين من الرد على عدوان قريش وقتالهم بعد أن هاجروا إلى المدينة وأقاموا فيها دولتهم المستقلة؟ ثم لماذا يعود فيأمر المسلمين بكف أيديهم عن اللجوء إلى العنف أو الرد عليه بمثله في حالة الفتنة والصراع السياسي في المدينة.

يرى أبو سليمان أن أمر المسلمين بعدم استخدام العنف بين الفئات والصفوات - وفي هذه الحالة هم المسلمون وقادة قريش - بعضها ضد بعض، وبالتالي عدم رد المسلمين على عدوان قريش ضدهم كان موقفاً مبدئياً ملزماً، أي من الثوابت في منهج الدعوة وفي المجتمع المكي القرشي، ولم يكن أمراً خياراً وسياسة، تتغير وتتبدل حسب الظروف في إدارة الصراع والمعارك السياسية، وذلك أن الصراع في مكة - في جوهره - كان صراعاً داخلياً سياسياً داخل المجتمع وعلى أعلى المستويات السياسية، حاولت فيه قيادة النظام المكي قمع فئة الحركة الإصلاحية الإسلامية والقضاء عليها بالقوة، وكان الموقف القرآني والنبوي في تلك الحال في مكة موقفاً مبدئياً لا مساومة فيه، يدعو إلى الجهر بدعوة التوحيد بكل ما تحمله من مفاهيم إصلاحية شاملة تأمر بالخير والمعروف، وتنهى عن كل ألوان الفساد والطغيان والمنكر، ولا يلجأ في الوقت نفسه إلا للوسائل السلمية لرد عدوان النظام المكي على الدعوة والدعاة لدعوة الإصلاح الإسلامي، وذلك هو أعلى درجات الإصلاح السياسي، ملتزماً في ذلك منهج الدعوة بالحسن والصبر على الأذى وعدم اللجوء إلى أية وسيلة من وسائل القوة والعنف في الرد على المعتدين.

يلاحظ المؤلف أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كمبدأ ومفهوم إسلامي عام يشمل عدة مستويات

من جهود الإصلاح الاجتماعي، بعضها على المستوى الفردي السلوكي وبعضها على المستوى السياسي العام، فما كان على المستوى الفردي السلوكي فإن على كل فرد من أفراد الأمة أن يقوم به، وجوهره يتعلق بالنصح والعون وإقامة الشرائع وفعل الخير، والحض على مكارم الأخلاق وعون المحتاج والضعيف، وكل ما يتلاءم ومقتضيات حفظ النظام العام وسلطة الحكم في المجتمع، وما تسمح به السياسة الشرعية من الأفعال والمبادرات الشخصية والخاصة بالعون على فعل الخير، ومنع التعديات على الحقوق والآداب العامة، وذلك على قدر الطاقة وفي حدود المستطاع. أما على المستوى العام والسياسي فذلك أمر يقف حده عند التعبير والنصح والجهر بالحق دون عنف وبالوسائل السلمية والمدنية والسياسة، كما عبر عن ذلك ما رواه مسلم وأحمد وأصحاب السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر». أما استخدام العنف في قضايا النزاع السياسي بين الفئات والنخب والصفوات السياسية - حتى تحت شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - فأمر لا يترك للأفراد أو للفئات، ولكنه من أمور شؤري المجتمع.

مناقشة منهجية: الزمان والمكان في بعض نصوص الفتنة:

ينبه أبو سليمان في هذه الجزئية من كتابه إلى بعض القواعد المنهجية المهمة التي تتعلق ببعد الزمان والمكان، والتي يجب أخذها في الاعتبار عند التعامل مع النصوص عامة، ونصوص الأحاديث النبوية

خاصة لأن كثيراً من هذه النصوص تتعلق بموقع الرسول كقائد للأمة على عهد الرسالة في حكم مجتمع ودولة المدينة، حيث أن تجاهلها أو عدم الالتزام الدقيق في فهم تلك النصوص يؤدي ولا شك إلى ضلال الفهم وخطأ القضايا وسوء الاستنتاج، وأول هذه القواعد هو حاكمية المبادئ العامة والمقصود بذلك هو العلاقة المنهجية بين المبادئ والمفاهيم العامة الأساسية وبين ما هو دونها من الفروع والقضايا والأحكام والحوادث، فهذه العلاقة لها أهمية منهجية كبرى في ضبط الفهم والتحليل والاستنتاج؛ فالمبادئ الأساسية العامة والمفاهيم العليا هي مبادئ ومفاهيم حاکمة لما دونها وما ينضوي تحتها من الفروع والقضايا والأحكام، فلا يصح فهم نص أو حادثة أو قضية أو حكم بما يتناقض مع المبادئ العامة والمفاهيم الأساسية، وإذا نجم شيء من ذلك فلا بد من إعادة النظر والتمحيص في الظروف والملازمات لتبين وجه الحق والصواب، وفي مثل هذه الحالات - التي يغمر الأمر فيها على الدارس، تأتي قاعدة الاستحسان والاهتمام بروح الشريعة على أساس من الفهم المقاصدي.

والقاعدة الثانية هي قاعدة الاستحسان، وهي الركيزة التي اعتمدتها الأصول الفقهية كأداة منهجية عملية للتغلب على هذا النوع من الإشكالات التي تنشأ حين يغمر الأمر على الدارس ولم يوفق إلى فهم يتسق مع المبادئ العامة وروح الشريعة وبحقق مقاصدها، لما قد يكون من ضعف أو علة خفي مصدرها على الدارس في أمر السند، أما القاعدة الثالثة فهي معرفة الدارس لطبيعة الأمر المعروض، وهذه القاعدة تتعلق بالقدرة المعرفية للباحث للبعد الزمني

والمكاني (التاريخ) الذي أحاط بالنص، والاعتبارات المركبة للأمر والموقف الذي تعلق به النص، وما توخاه من وجوه جلب المصالح ودفع الأضرار على المستويات الحياتية والاجتماعية المختلفة في أبعادها الفردية والجماعية، والتي هي على جانب كبير من الأهمية في فهم معنى النص ودلالة الحدث.

أما القاعدة الرابعة التي وضعها المؤلف، فهي البعد المعرفي للطابع والسنن، وهذه القاعدة تتعلق بمدى قدرة الباحث وعمقه المعرفي بشأن ما ينطوي في الأمور والقضايا موضع النص من الطابع والسنن (النفسي والاجتماعي)؛ فبقدر عمق الإدراك وشمول النظر بشأن طبائع النفوس والاجتماع الإنساني والسنن الكونية يأتي ضبط الفهم وسلامته وشموليته، وبقدر العجز في هذا الإدراك، يكون إمكان الخطأ والخلل، ولذلك فلا بد من شمولية المعرفة وشمولية المنهج وضبط التحليل، إذا شئنا الاهتداء بصحيح السنة النبوية وعبرها.

يدعو أبو سليمان لضرورة إدراك حكمة ما نلاحظه من عمومية وتجريد في تناول القرآن الكريم للأسس والمبادئ والقيم والمفاهيم العليا الخاصة لشؤون الحكم والسياسة، وترك تفصيلها وترتيباتها إلى الظروف الزمانية والمكانية للأمة وشعوبها، وذلك على عكس معالجات القرآن الكريم لما يتعلق بالوحدات الاجتماعية الأساسية التي ترتبط مباشرة بطبائع الإنسان الثابتة وحالاته التي تلازم طبعه على اختلاف الزمان والمكان التي تتعلق بالعلاقات والصفات الشخصية وبالترتيبات الأسرية في الزوجية والأبوة والبنوة، مما يوضح لنا منهجياً إدراك أبعاد معظم نصوص الأحاديث النبوية الزمانية

والمكانية والمفاهيم المنهجية اللازمة لدراساتها واستخلاص الدروس والعبر التطبيقية منها حتى لا تقع في أخطاء التجزئة، وأفة تنزيل النصوص بشكل آلي وعلى أساس لغوي دون وعي على ما تلبس بها من ظروف زمانية ومكانية مركبة على حوادث ومجالات أخرى لها ظروف زمانية ومكانية مغايرة تستوجب فهما واستيعابا واجتهادا يستخلص المفاهيم والدروس والعبر من مظانها الصحيحة، ولعل هذه الاعتبارات كانت مغزى تحرز الخلفاء وكبار الأصحاب في النهي عن الخوص في السنة وأحاديثها دون ضبط ووحي على هذه الأبعاد، والإقلال ما أمكنهم من إشهار قدسية مصدرها في وجه عامة الأمة بجهل وعدم دراية بظروف نطقها والقصد منها زمانياً ومكانياً.

يرى أبو سليمان كذلك أن كثير من النصوص النبوية المتعلقة بشؤون الحكم والسياسة وما يتبعها من قضايا الصراع السياسي والفتنة والدعوة إلى الإصلاح والسعي إلى حماية المجتمع والحقوق والأخلاق العامة وعلى مختلف مستويات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هي نصوص نبوية لها ظروف زمانية ومكانية هامة، تتعلق بالعرب على صدر الإسلام، بما كان عليه جل أبناء القبائل من بدائية قبلية بسبب خلو تاريخ قلب الجزيرة التي قامت دولة عهد الرسالة في ربوعها من دول وإمبراطوريات وتنظيمات اجتماعية حضارية كبرى على شاكلة الأمم والشعوب المجاورة لهم، على أطراف الجزيرة في أقصى الشمال وأقصى الجنوب، لذا لفهم نصوص السنة النبوية الصحيحة يجب فهم الظروف الزمانية والمكانية التي صاحبت نطق هذه النصوص وإدراكها بعمق لتكشف لنا مقاصدها

والغايات التي توخاها الرسول صلى الله عليه وسلم منها؛ لأن تلك الظروف الزمانية والمكانية لحياة تلك القبائل هي التي أدت بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى اتباع سياسات وإجراءات خاصة بعينها تتعلق بظروف تلك الحياة البدائية لقبائل الجزيرة، والتي هدفت إلى إخراجهم من البدائية الاجتماعية وإخضاعهم لنظام اجتماعي حضري، فلا يتركوا في بدائيتهم وقصورهم الاجتماعي، وذلك على غير ما عومل به اليهود الذين ناصبوا الإسلام أشد العداء، وعلى غير ما عومل به النصاري والصائبة والفس عبدة النار من ورثة الحضارات.

يعتقد أبو سليمان أن التشديد النبوي في كثير من التوجيهات والحوارات النبوية على وجوب الطاعة للسلطة والخضوع لها وسد لكافة الذرائع على العصيان والثورة عليها. مثل حديث مسلم عن ابن عمر: «من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لاجحة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية، وحديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية، وحديث أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك». حيث يرى أبو سليمان أن مجمل هذه الأحاديث تعطي صورة عن حال ذلك المجتمع والمرحلة التي يمر بها، وضرورة الخضوع للسلطة العامة ومقاومة بقايا الهمجية والتوحش الصحراوي القبلي، وما يذكيه من نوازع التمرد والتصارع والتمزق وما يمكن أن يواجهه ذلك المجتمع من اضطراب وصراع سياسي، بدأت مؤشرات في

نهاية حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في الثورة المضادة التي انتشرت خاصة في وسط الجزيرة وجنوبها في حركات المتنبئين مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي وسجاح وسواهم، والتي رفعت فيها كثير من القبائل العربية راية العصيان على الدولة الإسلامية، وامتنعت عن أداء الزكاة، وقد تم إخماد تلك الثورة وذلك التمرد، وأخضعت تلك القبائل مجددا لنظام الدولة والمجتمع المدني الإسلامي فيما عرف بحرب (الردة).

عدم اللجوء للعنف في حل النزاعات السياسية مبدأ لا خيار:

يشير أبو سليمان إلى ما يرى أنه قاعدة سياسية إسلامية عامة مهمة، وهي أن النزاع السياسي داخل المجتمع الواحد يجب أن لا يحل إلا سياسيا، وأن المعتدي الباغي يجب أن يعرّى عدوانه وبغيه أمام المجتمع، وأنه لا بد للأمة والسلطان الشرعي وأهل الحل والعقد وأهل الشورى وقادة الرأي العام فيها - وهم رحم الأطراف المتنازعة - أن، يقوموا بمسؤوليتهم في وضع حد للعدوان مهما كان مصدره، وأن ينتهي الأمر إلى الضرب على يد المعتدي إما بالتخلي عن مساندته أو بالتصدي له وإرغامه على التخلي عن عدوانه.

يعتبر أبو سليمان أن الأنظمة الاجتماعية الجيدة توفر في أساس تكوينها المؤسسات والوسائل القانونية والسياسية المناسبة للتعبير والمسؤولية، ولواجهة الطوارئ عند تفاقم الانحرافات السياسية بأساليب سياسية قانونية سلمية، كما أن الضمان الأكبر لحسن أداء النظام السياسي واستقرار حياة الأمم يعتمد على التمتع بالرؤية العقيدية السلمية والترتيبات الدستورية السياسية

والمناهج التربوية الفعالة، لأننا لو تمعنا في أسباب العنف السياسي وعدم الاستقرار الذي تعاني منه دول العالم الإسلامي إنما يعود إلى هذه الأسباب وما ينجم عنها من مآسي ومظالم وعداوات.

يشدد المؤلف على أن قاعدة التزام الوسائل السلمية في التدافع السياسي داخل المجتمعات، والتزام عدم اللجوء إلى العنف ينبثق من الطبيعة البشرية الناجمة عن الانتماء المشترك لأبناء الأمة الواحدة الذي يجعل من غير الممكن إنسانيا لرحم الأمة - في مواجهة المعتدي أيا كان المعتدي - أن يقف إلى ما لا نهاية متفرجا أمام حالات العدوان والبغي الصريح المستمر على الصبر المحتسب من أهل الرحم من فئات دعاة الإصلاح الملتزمين بالوسائل السلمية، والعوامل النفسية في هذه الحالات واضحة، وكذلك ما يترتب عليها من آثار، والشواهد التاريخية في ذلك كثيرة.

رحم المجتمع سبيل العدل والوئام في المجتمع:

يؤكد المؤلف أن قاعدة انتصار الأمة وقادة الرأي العام فيها للمظلوم الصابر من أهل الرحم الذي لا يرد على العدوان والعنف بالعدوان والعنف في قاعدة صحيحة حتى لو كان السلطان هو الطرف المعتدي، فلا شك أن عدم الرد بالعنف على العنف من قبل دعاة الإصلاح إذا نظر إليهم على أنهم من أهل الرحمة، فإنه لا بد أن ينتهي الأمر بالأمة - إن كان فيها وفي قادة جمهورها وعامة أهل الحل والعقد والمشورة في جماعتهم بقية من خير - أن يهبوا إلى نصره المصلحين والمظلومين ونصرة حقهم وضعفهم - وإلى التخلي عن الحاكم الظالم وعن نصرته ليعود

عن ظلمه وغيه أو أن تنهار قواعده ويسقط الأمر من يده، ويوضع بذلك حدا لعدوانه ومظالمه، وذلك أن الأمة رحم أبنائها وفئاتهم، فلا طاعة لمخلوق في معصية الله الذي حرم الظلم على نفسه وجعله بين الناس محرما، والخطأ القاتل المدمر لاستقرار الأمة وأمن مجتمعاتها هو أنه إذا اقتتل بعض فئاتهم مع بعض ولجأ كل أطراف النزاع إلى العنف ضد بعضهم البعض، ونشب العنف المتبادل وحكمت الأطراف السيف بينها، ولم يعد في قلب الصورة ظالم ومظلوم، ولكن أطراف متقاتلة ودماء مسفوحة، فإن الأمة لا تستطيع أن تصبح طرفا مع طرف ضد الآخر، ولا تملك إلا الترقب لعواقب هذا الصراع والقتال، رغم أن حصيلة هذا الصراع ضعف عام وتمزيق لصفوف أبناء الأمة ودمار لاستقرارها وتعويق لمسيرتها، ولذلك لا سبيل إلى تحريك الأمة عامة - إن كان هناك سبيل إلى تحريكها - إلا بتعرية الباغي المعتدي ووصم عدوانه وإدانتته من قبل الأمة وقادة الرأي فيها، فيوضع بذلك حد لبغيه وعدوانه. بل لعل الوقت (الصبر) وفداحة العدوان وصدق دعوة الإصلاح ومشروعية حقوق المظلوم هي من شروط تحرك رحم الأمة وقادة جمهورها وتضامنهم ضد البغاة والظلمة من أبنائها وتوحيد الصف ضدهم، ولذلك فإن الصبر والثبات على تضحيات استخدام الوسائل السلمية هو السبيل السليم إلى التغيير الإصلاحي ورفع يد الطغيان ووضع حد لمسلسلات الفتنة والعنف.

يشدد أبو سليمان على أنه إذا أصر فريق دعوة الإصلاح على دعوته الإصلاحية والجهر بها سلما، وأصرت فئة أخرى من أبناء الأمة - حتى ولو كانت الصفوة الحاكمة - على البغي والعدوان والاستبداد

والقمع، فلا بد لرحم الأمة من أن يتحرك ولا يترك المعتدي يتمادى في عدوانه ولا بد للأمة أن تتخلى عنه، وأن تسعى إلى الأخذ بما هي في حاجة إليه من الإصلاح، وأن تضطره إلا الكف عن بغيه وعدوانه، أو أن ينتهي الأمر بالأمة إلى تقويض أركان سلطانه، ولذلك وجه القرآن خطابه إلى الجماعة وحملها في نهاية المطاف مجتمعة مسؤولية رد العدوان وعدم ترك تقرير الأمر إلى الفئات المتصارعة.

عقلية الشورى أساس الإستقرار السلمي في المجتمع المسلم:

يعتقد المؤلف أن استقرار المجتمع المسلم ونجاح حركات الإصلاح فيه لن يترسخ إلا من خلال بناء عقلية مجتمع الشورى ونظامه، والتزام المنهج السلمي المدني مبداً في السعي السياسي للإصلاح والتغيير، ولذا يدعو لضرورة إدراك أن المنهج الشورى في جوهره أمر مبدئي مفاهيمي وتربوي يجب أن يترسخ في ضمير شعوب الأمة على مختلف مستويات التربية والتعليم والتنظيم والتعامل وليس مجرد قضية هيكليّة تنظيمية في تشكيل مؤسسات الحكم يأخذ الاستبداد فيها ألبسة ووجوها متغيرة مدلسة.

إن الدرس الأساسي الذي يمكن أن نستلهمه مما سبق من آراء للمؤلف أنه لا يصح استخدام العنف داخل كيان المجتمع الواحد مهما كانت الأحوال بغية تحقيق أهداف سياسية، وأن الإصلاح في هذه الحالة لا يتم السعي إليه إلا بالأساليب السياسية المدنية، وإن صبر الفئات المظلومة مجلبة لتضامن رحم الأمة ضد المعتدي الباغي وإنجاح لجهود الإصلاح وحماية لاستقرار الأمة وصيانة لأمنها ومسيرتها، بل إنه إذا استقر في ثقافة الأمة وضميرها

وجوب السعي السلمي والمدني للإصلاح، وحرمة استخدام العنف في طلب الإصلاح وإدارة الصراع السياسي في المجتمع فإن قدرة الأطراف السياسية في المجتمع على اللجوء إلى العنف لتحقيق أهدافها في الإصلاح أو إعاقته سوف تنعدم، وهو ما نلمسه اليوم في المجتمعات المدنية التي استقرت فيها هذه المفاهيم.

الصبر والمصابرة:

يرى أبو سليمان أن الصبر جزء لا يتجزأ من المدافعة ومن دعوة الحق والسعي بالإصلاح ودفع المظالم والعدوان داخل المجتمع، وأن المقاومة السلمية من قبل أصحاب الحق وأصحاب دعوة الإصلاح وفي جهودهم لدفع الظلم ومقاومة الفساد لا يعني عدم المعاناة وتلاقي الآلام والبطش، فذلك ثمن لا بد أن يدفعه - في جل الأحوال - ضحايا المظالم ودعاة الحق والإصلاح في تصديهم للظلمة والمفسدين، وكل ما تعنيه المقاومة السلمية أنها في الغالب الأعم أقل كلفة وتضحيات من الدماء التي تسفك، والدمار الذي ينجم عن العراك والقتال، وإذا كان للتضحية والمعاناة نتيجة وأثر إيجابي فهو يأتي نتيجة هذا اللون من المقاومة، لأنها في خاتمة المطاف توحد الصف وتحقق الحقوق، وتنتهي العنف وتنفي الخبث وهي عادة الأدنى ثمنا والنافع ثمرا.

يدعو أبو سليمان لعدم الخلط بين المقاومة السلمية والتضحية، كون المقاومة السلمية لا تستدعي التضحية، فهي وإن استدعت التضحية إلا أنها تختلف عن تضحيات العنف، إنها هي التضحيات التي تستعيد الحقوق

وترسخها وتضع حدا للعنف وتنتهيه ولا تدعه يفرخ في دوائر مغلقة ترسخ العنف وتهدم روح التضامن والشورى في المجتمع وتهدد أمنه واستقراره.

يصف المؤلف الصبر على الأذى بين أبناء الرحم والوطن بأنه شرط ضروري لطلب الحق ودعوة الإصلاح ومقاومة الفساد، كما أنه ضروري لجهاد العدو والأجنبي الظالم، أما العنف الأهوج والتفجيرات الآنية وردود الفعل الحمقاء، وشهوة الانتقام، فيه ما يجب على الأمة إدراك مخاطرها ومفاسدها، فالصبر وكلمة الحق والعصيان المدني في المعصية هي وسيلة الأمن والاستقرار والشورى والإعمار، ولذلك فليكن الصبر وسلمية المأخذ في شؤون الأمة وإدارة شأنها السياسي هو أصل من أصول فكر الأمة ومبدأ من مبادئ نظامها الاجتماعي ولب في منهج تربية الأجيال المسلمة الراشدة.

العنف والأنظمة التابعة

يؤكد المؤلف في هذه الجزئية أن استخدام العنف في حل الصراعات والنزاعات السياسية في كل الأحوال بين الفئات الحاكمة والفئات المعارضة، داخل رحم شعوب الأمة، أمراً غير مشروع تختلط فيه الأوراق، وتغم فيه الرؤية، وتصبح الممارك والمناحرات، وكأنها أدوار من الدفاع عن النفس، وطلب البقاء، مجرد من الأسباب والقضايا التي جرت إليها بفعل سيطرة الأجنبي وظلمه لتدفع تلك القضايا إلى الخلف بعيداً عن بؤرة الرؤية ولب الاهتمام. وبالطبع فإنه لا ينجم عن ذلك خير ولا نفع ولا تحرر ولا إصلاح، بما في ذلك مصالح الصفوة الحاكمة

التي لا تملك قرارها، وإنما هي في حقيقة أمرها مجرد أداة في يد صفوة أجنبية متحكمة فيها تستخدمها وسيلة للسيطرة على مقدرات الأمة وإنزال الأضرار البالغة بها وبكيانها ومصالحها الأساسية، مقابل الذل والفتات من ثروات شعوبهم ودمائهم.

يرى أبو سليمان أن ما حدث ويحدث مع شعوب الهنود الحمر، وما حدث لشعب فلسطين حالات نادرة واستثنائية في تاريخ الغرب، خاصة مع الشنشنة الدعائية للديمقراطية وحقوق الإنسان التي تتعالى صيحاتها في أجهزة الإعلام الغربية، حيث أن التاريخ والحقائق والواقع تدحض هذا التصور وتوجب قدرا كبيرا من الحذر والحيطه ووجوب مواصلة الجهد لإرساء قواعد متينة راسية يستند إليها السلام والنظام العالمي، ويعكس إيماننا إنسانيا حقيقيا للإخاء والتكافل الإنساني الذي يوفر المساحة القيمية والنفسية اللازمة لإقامة حكم العدل والقانون في العلاقات الدولية والإنسانية، كما أن التاريخ الغربي يعكس في جوهره منطلقا عرقيا تعصبيا ينطوي على الاستعلاء والعصبية، التي تقلل من شأن الأجنبي وإنسانيته، والاستهانة بحقوقه وحياته، وإخضاعه لاعتبارات المصلحة الأنانية. هذه النفسية - بحسب أبو سليمان - هي التي تفسر قسوة الصراعات الأوروبية، والمآسي وجرائم الإبادة الإنسانية التي نزلت بالعديد من الأقليات الدينية والعرقية مسيحية ويهودية ومسلمة، كما تفسر الجرائم والويلات الاستعمارية التي لقيتها الشعوب الإفريقية والسكان الأصليين في الأمريكتين وأستراليا، كما أن هذا التاريخ وهذه النفسية تجعل مستقبل الأقليات في هذه البلاد وليس بالضرورة في مآمن

من التعديات في المستقبل على غرار ما حدث للأقلية اليابانية في الولايات المتحدة الأمريكية في فترة الحرب العالمية الثانية. ثم يدعو المؤلف لدعم كل الجهود اللازمة إلى بناء نظام عالمي جديد يخدم جهود السلام والأمن الإنساني، وأن لا يفت في عضدنا ما يلحق هذه الجهود من قصور وسوء استغلال وتناقضات، ومن الجانب الآخر فإن علينا عدم الغفلة أو الوقوع في شرك التضييل الإعلامي والغايات والأهداف الخاطئة، التي تهدف إلى جرح العالم إلى سراب الخداع والوقوع في مزيد من المآسي الإنسانية، حيث تتزايد أدوات الدمار، وتشتد الصراعات وتتفاقم المآسي.

الهجرة وسيلة للمقاومة ووسيلة لدفع عجلة الإصلاح:

يرى المؤلف أن الهجرة هي إحدى الوسائل والخيارات للتعامل بين أطراف الصراع وإدارة دفته فيما بينهم، والهجرة السياسية أو الدينية هي في جوهرها ترك الوطن إلى بلد آخر حين ينتفي أو يضعف الرحم أو حين يفوق الاضطهاد والعدوان والصراع طاقة الدعاة والمضطهدين هذه الهجرة تختلف عن الهجرة السياحية أو الاقتصادية التي تتم لأسباب معاشية وحياتية يسعى إليها الفرد ويقدرها وفق رؤيته ومصالحته وفي ذلك يقول رسول الله: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

يشير أبو سليمان إلى أن الهجرة السياسية والدينية قد تتم على أساس فردي لمن ضعفت رحمه فراراً وهرباً من الاضطهاد الذي لا يستطيع الفرد المستضعف تحمله

أو الصبر عليه، وهذه الهجرة هي هجرة فرار، وهي أيضا مطلوبة إسلاميا لمن كان قلة ومستضعفا لا رحم يحميه وينتصر له وليس له حيلة ولا قدرة على المقاومة، وليس في طوقه الصبر واحتمال الأذى البالغ والبغي الساحق، ويخشى بذلك الفتنة في الدين والعقيدة والتفريط في الحقوق الحريات والكرامة الإنسانية، والهجرة إن كانت فرارا بالنفس - فإنه قد يصبح مطلبا إسلاميا حماية للدين والنفس والكرامة الإنسانية، وليس تفريطا في الحقوق وانصرافا عن الإصلاح ومقاومة الطغيان. وقد تكون الهجرة هجرة ترقب، وتعد الهجرة في هذه الحالة وسيلة من وسائل مقاومة المضطهدين لمضطهدهم من الطغاة والظلمة؛ وذلك بالخروج من دائرة سطوة سلطتهم دفعا للعسف ودرءا للخسائر وترقبا لمواتة الأحوال والعودة إلى البلاد في ظروف أفضل لرفع الظلم وانتصار الحق. وهذا النوع من الهجرة - بحسب أبو سليمان - هو أقرب إلى حالة اللجوء السياسي في الوقت الحاضر. ومن ذلك هجرة المسلمين الأولى والثانية إل الحبشة خلال مرحلة الاضطهاد الملكي للمسلمين الذين رأى جل قيادات المشركين وجمهور عامتهم أنهم ودعوتهم يمثلون خطرا على مصالحهم وراثتهم مما أضعف رحم كثيرا منهم وأدى إلى ألون عنيفة من الاضطهاد لهم.

يُبين المؤلف أن كذلك قد تكون الهجرة هجرة مفارقة ومقارعة، إعدادا وتحينا للكرة ومنازلة المعتدين والبلغاة من الخارج لوضع حد للفتنة وانتهاك الحقوق والحريات، ومن ذلك هجرة المسلمين إلى المدينة. وقد أخذهم اليأس من تقبل المكين لهم ومستقبل حماية رحمهم، فهاجروا واتخذوا المدينة قاعدة لبناء الدولة

المسلمة ومواجهة العدو (قريش) ومنازلته، حتى جاء الفتح وتم النصر للإسلام والمسلمين. وبذلك أمنت البلاد والعباد، وانتهى عهد الطغيان والفتنة وقامت دولة الإسلام، وأصبح الحال عندها كما عبر عنه رسول الله: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية». كما يرى المؤلف أن هذا النموذج هو النموذج النقيض لتجمع الهجرة اليهودية الصهيونية العدوانية الباغية ضد شعب فلسطين لاغتصاب الأرض، واحتلال الدار، وتشريد الشعب الذي عمر فلسطين دون انقطاع منذ البدء حتى اليوم، وقبل أن يوجد أصلاً يهودي واحد على وجه الأرض.

يلفت أبو سليمان إلى أن الهجرة الإسلامية على وجوها كافة لا تكون استسلاماً ولا تفريطاً في الحقوق والحريات، وإنما هي وسيلة من وسائل دفع الظلم وحماية العقيدة وحفظ الحقوق ونصرة المستضعفين حسبما ما تمليه الظروف ويدعوا إليه مقتضى الحال، وهي وسيلة من وسائل إدارة دفة الصراع الحق بالوسائل المشروعة سلماً من الداخل أو إن اقتضت الضرورة أسعفت الظروف حرباً بين الأنظمة من الخارج، ولكنها لا تكون إلا إلى دار يأمن المسلم فيها على دينه وحقوقه وحرياته الإسلامية على أفضل وجه يمليه مبدأ أخف الأضرار.

صراع الحضارات:

يلفت أبو سليمان في نهاية كتابه إلى صراع الحضارات هو لون آخر من ألوان الصراع الإنساني، وهو لون

يأخذ أشكالاً مختلفة: منها الإيجابي ومنها السلبي، ومنها السلمي الذي يتسم بالتواصل والحوار، ومنها العسكري الذي يتسم بالعنف والقتال. وهذا اللون من الصراع يمثل حركة التدافع بين الأمم والحضارات في سباق العطاء والصدارة والسيطرة. ويذكي حركة هذا الصراع والتدافع ما يصيب علاقات الأمم وحضاراتها وطرق عيشها من الخلل الذي يدفع القوي الأقدر أو الأكثر توازناً للدفاع نحو مناطق الضعف والخلل للملئها والهيمنة عليها. وقد يتم الاندفاع سليماً بالتأثير والتوافق نحو مناطق الضعف والتمازج والعطاء والتلقي، وقد يكون هذا الاندفاع عنفاً بالصراع والقتال والإخضاع والهيمنة والقهر.

يصف أبو سليمان الصراع السلمي التوافقي هو صراع تدافع حضاري ببناء يحقق الإصلاح، ويدفع إلى الارتقاء والتقدم وحب المعرفة، تلك المعاني التي أودعها الله في طبع الإنسان وسخره لطلبها، وتجذب الشعوب في هذا التدافع الحضاري إشباعاً أفضل لحاجاتها وارتقاءً لمعاشها واستعادة لتوازنها وعافيتها الحضارية. وتستجيب بواسطته لأساليب ومناهج أفضل نوعاً وأكثر فاعلية في حياتها من بعض الوجوه. كما يرى المؤلف أن الصراعات العسكرية العدوانية بين الحضارات بما تمثلها من الأمم في جملتها مراحل قلق حضاري قد تزيد من الاختلالات الحضارية الإنسانية، وتظل تدفع بالمجتمع العالمي الإنساني بشكل مأساوي إلى استمرار البحث عن نقطة توازن

حضاري أنسب ومستوى حضاري أفضل، والأولى من ذلك - ولا شك - أن يتم التدافع بشكل سلمي ببناء، يحقق التوازن البناء العادل ويدفع عجلة التقدم البشري بعمق أكبر وتوافق وتمازج أفضل، فمجتمع السلام والتعاون والرفاه لا بد له أن يقوم على مفاهيم الانتماء والتراحم المشترك للإنسانية، وعلى مفاهيم العدل وحس المسؤولية، وهو ما تقوم عليه فلسفة الإسلام في بناء العلاقات بين شعوب البشر وأبناء الإنسانية.

يرى أبو سليمان أن هذا الصراع والتدافع الحضاري بين الغرب والإسلام قد بدأ منذ عدة قرون بعد ازدهار الحضارة الإسلامية، وسيطرتها التوافقية البناءة التي مازجت قلوب جل شعوب الأرض وحضارتهم، وقد أخذ هذا الصراع بين الغرب والعام الإسلامي في مرحلته الأخيرة دور الهيمنة والقهر السلبي الاستغلالي الاستعماري، بل والاستيطاني في حالة مأساة شعب فلسطين، وذلك بسبب الضعف واختلال التوازن في كيان الدولة العثمانية والحضارية الإسلامية، ومثل بذلك نقطة جذب للقوة الغربية في صراع عسكري تسلطي للسيطرة على العالم الإسلامي وإخضاعه لمصالحه. ولذلك كان هذا الصراع صراعاً سلبياً عسكرياً طويلاً مريباً يسعى بالعنف لفرض السيطرة الغربية ومصالحها الأنانية المادية العنصرية الاستعمارية والاستيطانية وأساليبها الحياتية المادية المتفسخة الملحدة على العالم الإسلامي.

من غزة إلى دمشق: حين تُصوّب المقاومة بوصلة العالم

المقاومة من
منظور استراتيجي:

يوسف لطفي | كاتب



بعد أكثر من 450 يوماً من إطلاقها، لم تعد عملية طوفان الأقصى ترسم ملامح المشهد الجيوسياسي الإقليمي والدولي فقط وإنما أعادت تشكيل الوعي العالمي والعربي لتصنع بذلك واقع مغاير بالكلية لما كان عليه العالم قبل السابع من أكتوبر 2023.

ولد الطوفان في ظل مشهد إقليمي قاتم، فمن موجة التطبيع الثالثة (السلام مقابل السلام)، مروراً بانكسار ثورات الربيع العربي وتسويات القوى الإقليمية المتنافسة على أنقاض الربيع، وصولاً إلى تمدد الاستيطان في الضفة والقدس واندماج حكومة اليمين الصهيوني في المنطقة العربية، بدا كأن الواقع العربي والإسلامي قد خضع للتسويات الإقليمية ومشاريع الاستبداد والتطبيع. دفعت هذه الظروف مستشار الأمن القومي الأمريكي جيك سوليفان قبل الطوفان بأقل من شهر للتصريح «إن منطقة الشرق الأوسط اليوم أهدأ من أي وقت خلال العقدين الماضيين»، فيما ظن كثير من المراقبين أنهم يقفون أمام الحالة التي ستعيشها المنطقة لعقود قادمة.

لم تترك الحرب الجارية منذ سنة ونصف المعادلة الأمنية والجيوسياسية فقط، وإنما وضعت الأطراف الدولية أمام استحقاقات سياسية وقيمية كبرى، وأعادت تشكيل الوعي العالمي على مستوى الإيمان بالقيم الليبرالية وشرعية المنظومة الدولية، كما هزت شرعية الأنظمة الإقليمية المتواطئة مع عملية الإبادة الجارية في غزة، وهي تحولات سيكون لها تبعات على استقرار بناء المنظومة الدولية ومكوناتها الأساسية (الدولة الوطنية) التي استنزفت رصيدها السياسي والأخلاقي.

تحاصر المقاومة دوماً بسؤال الجدوى في ظل فارق الإمكانيات والقوة مع العدو، لكن المغالطة هنا هي أن المقاومة لم توجد إلا لهذا السبب وهي لا تبحث في مهمتها الكبرى عن تقديم إجابة على معادلة القوة ومعضلات البيئة الجيوسياسية التي تولد فيها، فهذا ليس ضمن تعريفها كمصطلح ونظرية وتجربة، لأنها تعني في أوضح وأبسط معانيها مجرد الرفض، وعلى مستوى أعمق فإن غاية المقاومة هي تفكيك شرعية العدو عبر إعاجه وإنهاكه وإغراقه في العنف ووضعه هو أمام الخيارات الصعبة، فهي معركة صبر وتحمل في الأساس.

في التفكير الاستراتيجي لا تبحث المقاومة عن الانتصارات العسكرية أو التمدد على الأرض، وإنما تهدف للتمدد في الوعي وتوسيع شرعيتها على حساب العدو وتفكيك أسباب بقائه. في أفغانستان استمرت المقاومة

مستقرة، ومشروعية سياسية وأخلاقية، وفي الجوهر من كل ذلك علة مركزية للوجود، فهذه كلها أساسيات تهترع كل عملية من عمليات المقاومة.

تشكل البيئة الداخلية الموصوفة، بالإضافة للمحيط الخارجي بما فيه من خصوم ومساحات تنافس ومعارك قائمة ومؤجلة، يشكل كل ذلك البيئة التي تتحرك فيها المقاومة، ما يضع قوى الهيمنة أمام تحديات متداخلة ومركبة، تلعب المقاومة فيها دورا المشاغلة والتحفيث، حيث يستدعي تركيز القدرات في مواجهة المقاومة والانشغال بها إلى حدوث خروقات على جبهات أخرى وتفاقم الأزمات القائمة. في 2003 استدعى تركيز إدارة بوش على الحرب في العراق وأفغانستان خفض حجم قواتها في الصومال وتحويل أهم مواردها العسكرية والمخابراتية لمواجهة المقاومة العراقية، أدى ذلك إلى تحول كبير في الاستراتيجية الأمريكية في الصومال والقرن الأفريقي للتحول من عملية شاملة ضمن مشروع مكافحة الإرهاب إلى عملية محدودة بالإشراف على بعض القوات المحلية ما أدى إلى فشل الحملة في المحصلة.

وفي ظل انهماكها في حروب «مكافحة التمرد» في أفغانستان والعراق والصومال، واستمرار الانتفاضة الثانية وأعمال المقاومة في الضفة الغربية وغزة دفعت إدارة بوش حكومة شارون لحلحلة الأوضاع عبر استراتيجية أمنية جديدة تهدف لإعادة تشكيل السلطة الفلسطينية وقمع الانتفاضة في الضفة، وقد تطلب ذلك تفكيك مستوطنات قطاع غزة والانسحاب من القطاع المكتظ ومن بعض مستوطنات الضفة.

تكشف الأمثلة السابقة عن مركزية «الفرصة والتكلفة» في مفهوم وتجربة المقاومة، فشارون الذي كان مهندس تمديد الاستيطان وصاحب نظرية الأصابع الخمسة لتقسيم قطاع غزة، كان هو من هدم مستوطنات القطاع بيده، لأن الاحتلال ومن خلفه الولايات المتحدة أدركوا أن تكلفة إدارة المعركة في الضفة وغزة بالتوازي عالية، وعلى الرغم من تحمل غزة لعبء المواجهة مع الاحتلال منذ انسحابه من القطاع إلا أنه مثل فرصة للمقاومة لتطویر بنيتها التحتية وفرض نفسها كلاعب سياسي محوري.

عشرين عاما، قبل أن تتوج بالانسحاب القواتطالبان عسكريا بالمعنى التقليدي، أي أنها لم تدفع العدو للانسحاب بفعل تحطيم إمكاناته العسكرية أو كسر معادلة القوة، وإنما كان انتصارها استراتيجيا بدفع العدو إلى نقطة الانهيار السياسي والعجز عن تبرير وجوده ضمن حساباته الاستراتيجية، ففي صراع من هذا النوع أنت تعمل دوما ضمن معادلات وحسابات أكبر تحيط بك وبعيدوك. هدفك الجوهري أن تتضخم في وعي العدو ومخيلته وأن تنتهز الظروف الزماني والمعنوي لإحداث الصدع تلو الآخر في جدرانه وصورته وخلخلته تماسكه وبنائه، هدفك رفع سقف الممكن في الوعي الجماهيري وإيقاد أفكار الحركة والعمل، إنها معركة معنوية تنفذ بالبنادق والعبوات، وهي عملية لا تخلو من المغامرة برأس مالك في كل كرة.

التكلفة والفرص السانحة:

عبر تاريخها بدت معارك المقاومة دوما غير منطقية للكثير، تواجه دوما بأسئلة معضلة عن التكلفة مقابل الربح، وعن كيفية مواجهة عدو قادر على تحطيمك؟ طرحت هذه الأسئلة في أيرلندا وكوبا وأفغانستان وغيرها، وتطرح اليوم في فلسطين وهي أسئلة الجاهل ببنية مشاريع الاستبداد والاحتلال والالتزاماتها، وبطبيعة الصراع ومقتضياته.

استراتيجيا تستند المقاومة على قاعدة «الصراع الثلاثي»، بمعنى أنها تعتمد على حقيقة أنها لا تخوض معركتها في الفراغ وإنما في ظل بيئة ديناميكية مكونة من عناصر وأطراف أخرى، وهي عوامل تضع العدو الأقوى أمام حسابات أكثر تعقيدا تشمل علاقاته مع محيطه الخارجي وبيئته الداخلية. ولا تتوقف نظرية ثلاثية أبعاد الصراع عند وجود قوى أخرى في معادلة المواجهة فقط، وإنما تشمل وجود مستويات أخرى للصراع، ففجوة القوة التي يعتمد عليها المحتل أو المستبد لبيط السيطرة على الأرض تشكل المستوى الأول في معادلة الهيمنة والحكم، في حين تخضع استدامة مشروعه لمقتضيات أخرى، حيث يتطلب الحكم اجتماعا سياسيا متماسكا، وحالة اقتصادية

بندقية بألف مدفع!

من غزة إلى دمشق صنعت صواريخ المقاومة ورصاصها قناة عبور لحالة جيوسياسية مختلفة تماماً، فطبيعة البيئة المركبة التي تتحرك فيها المقاومة والنوافذ التاريخية المفصلية التي تعمل من خلالها، تجعل لرصاصها وقعه الخاص على محيطه، حيث طلقات معدودة قد تفتح بوابة التاريخ لواقع جديد.

قدمت المقاومة تاريخياً مثالا عمليا على قدرتها على إعادة صياغة البيئة المحيطة بها، ذلك أن فعلها دوماً موجه نحو قوى النظام الرسمي أو السائد، فكل ضربة تمثل فرصة لخلخلة حالة الإحكام عبر فتح النافذة للأطراف الثالثة وتحفيز القواعد الشعبية وبؤر التمرد وتفعيل ومفاجمة الأزمات، وبمعنى آخر فإن عمليات المقاومة تصنع حالة كاملة تفتح الباب لاحتمالات كثيرة تهدد استمرار سطوة النظام السائد وبقائه .

ونحن نتأمل كيف تحدث قوى المقاومة والتمرد انقلابات كبرى في الخرائط الجيوسياسية بإمكاناتها المحدودة، يجب أن نستدعي أنهار الدماء المتدفقة إلى هذه اللحظة، لحظة تحول الرصاص لقنبلة جيوسياسية شاملة، وفي هذا الاستدعاء إجابة على سؤال جدوى المقاومة وكيف ستجلب النصر وكل أسئلة السفسطة والتثبيط المصاحبة لهذا السؤال. إن التغيير النوعي الذي أحدثه فتح دمشق يعود الفضل المباشر فيه للطوفان الذي تمتد قصته عبر أنفاق غزة إلى ثورات الربيع، إلى الانتفاضة الثانية قبل نحو ربع قرن من الزمن .

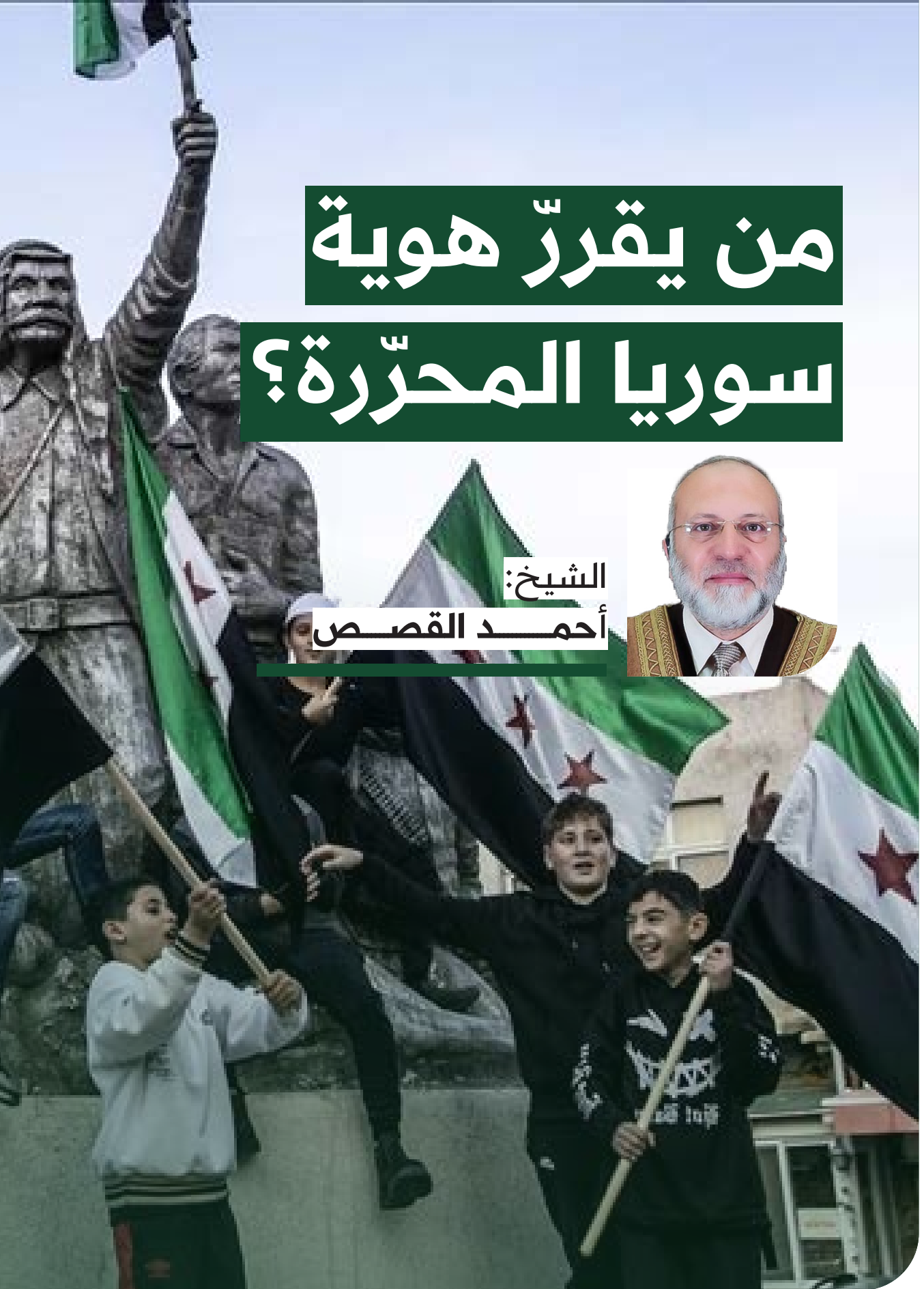
ختاماً، تبدو المقاومة اليوم، في امتدادها من غزة إلى دمشق وبتنوع بُناها وأشكالها، أشبه بفعلٍ خلاق يعيد رسم خرائط المنطقة ويبعث الحياة في قيم أوشكت على الأفول. إنها ليست مجرد رصاص تنطلق لتصيب هدفاً، بل هي معول يهدم ركانز الأنظمة المتهاكمة ويكشف عجز القوى المهيمنة عن الاستمرار في شرعنة استبدادها، وهي في الوقت نفسه بذرة تُزرع في وعي الشعوب كي تتعاظم مطالباتها بحقوقها وعدالة قضايها. لقد حطم فعل المقاومة شرنقة "الهدوء" المزعم، وانتشل بوصلة الرأي العام الدولي من قبضة المنظومات القديمة، فأعاد الاعتبار لمنطق التحرر والكفاح.

إن قدرة الرصاص الواحدة على خلخلة علاقات القوى الدولية وبناء مسارات جديدة تتجاوز أعتى الحسابات الأمنية، تشير إلى أن صمود المقاومة وأفكارها يتجاوز مدى الصواريخ والمواقع العسكرية إلى آفاق أرحب من التغيير السياسي والاجتماعي والفكري. فحيثما ارتفعت يد تقاوم، هناك فرصة لإحداث تحول شامل في طبيعة التحالفات والشرعيات، قد يتعثر قليلاً أو يتباطأ أحياناً، لكنه في نهاية المطاف يعيد تشكيل الوعي الجمعي بما يكرس الهوية ويعمق الإحساس بالكرامة. وهكذا، فإن سطور التاريخ التي تكتب اليوم على أرض غزة، ستتردد أصدائها في كل عاصمة تغمرها أحلام التحرر، لتعيد صياغة العالم في صورة جديدة، وتؤكد أن جذوة المقاومة إذا اشتعلت فلن تطفئها معادلات الردع ولا حسابات القوى العظمى .

من يقرر هوية سوريا المحررة؟

الشيخ:

أحمد القصص



يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.

روي في مناسبة نزول هذه الآية أنه كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة، فكان المنافق يدعو إلى اليهود، لأنه يعلم أنهم يقبلون الرشوة، وكان اليهودي يدعو إلى المسلمين، لأنه يعلم أنهم لا يقبلون الرشوة. فاصطلحا أن يتحاكما إلى كاهن من جهينة، فأنزل الله فيه هذه الآية. فهذا الكاهن سمّاه الله تعالى في كتابه بالطاغوت. فكلّ تشريع غير شرع الله اسمه في كتاب الله تعالى طاغوت. وكلّ معبود غير الله تعالى هو طاغوت، وكلّ مشرع غير شرع الله اسمه طاغوت. أمّا ما يعبد من دون الله فقد قال الله فيهم بعد آية الكرسي: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾. فكلّ إيمان غير الإيمان بالله تعالى هو إيمان بالطاغوت، وكلّ تحاكم إلى غير شرع الله هو تحاكم إلى الطاغوت. فكلمة طاغوت كلمة دالة على كلّ ولائٍ لغير الله سبحانه وتعالى وخارج إطار الولاء لله تعالى، فالتوجّه بالعبادة لغير الله توجّه إلى الطاغوت، وتحكيم غير شرع الله هو تحكيم للطاغوت. فإن ذهبت إلى قاضٍ يحكم بالقانون الوضعي فقد ارتضيت حكم الطاغوت. فالقاضي الذي يحكم بغير ما أنزل الله اسمه طاغوت، وشرعه الذي يحكم به اسمه أيضا طاغوت.

أيها الإخوة:

عند تبدل الدول يقفز فوراً إلى الساحة الكلام عن تبدل الدستور والقوانين. فإما أن يعدل الدستور وإما أن يبدل وتعتمد قوانين جديدة. وبلادنا بلاد الشام تشهد هذا التبدل الآن. وقلوبنا متعلقة بما يجري في سورية، ذلك الجزء العزيز من بلاد الإسلام. ومن يدري لعننا عما قريب نرى الحدود التي رسمها الكافر المستعمر الفرنسي بيننا وبينهم قد محيت وغدنا نحن وأهل طرطوس وحمص وسائر تلك البلاد امتداداً واحداً. وفي كل الأحوال أهل الإسلام قضيتهم واحدة أينما كانوا.

والقضية المعروضة على أهل سوريا اليوم: ماذا نفعل بالدستور؟ وماذا نفعل بالقوانين القائمة؟ ماذا ستعتمدون أيها الحكّام الجدد للبلاد دستوريا وقانونيا؟ ما الذي سترعون به شؤون الناس؟ ما القوانين التي ستطبّقونها؟



فإذا بدول العالم كله من شرقه وغربه تسارع من أجل أن تطمئن: هل ستطبقون الشريعة الإسلامية؟ هل ستعتمدون دستوراً إسلامياً؟ إن طبقتم الشريعة فهذا يعني أنكم عزمتم على ظلم الأقليات، وعلى قهر النصارى والدروز والعلويين..

جاء الأمريكان، وجاءت أنظمة العرب، وجاءت الأمم المتحدة، وعمّا قريب جامعة الدول العربية. من أجل ماذا؟ من أجل أن يطمئنوا إلى أن الشريعة لن تعتمد دستوراً وقانوناً في سوريا!

هذا الكلام حين يوجّه للمسلمين فأبرز ما فيه العداء والوقاحة، أن تأتي لتقول للمسلمين: نحن لا نرضى بشريعكم. لأن إقامة شريعكم تعني الظلم والقهر.

هؤلاء هم الذين غصّوا النظر عشرات السنين عن حكم المجرمين الذين عاثوا في الأرض فساداً. لم تستفّرهم تلك الممارسات، ولم يستفّرهم قتل مليون إنسان، ولم يقولوا: هذا انتهاك لحقوق الإنسان، ولم يقولوا هذا ظلم للأكثرية. لم يستفّرهم تهجير حوالي خمسة عشر مليون إنسان من أهل سورية، بل كانوا في السنوات الأخيرة، كما شاهد الجميع، يغازلون ذلك الطاغية، ويدعونه للتطبيع، ويعيدونه إلى ما يسمى بالحضن العربي، ويدللونه. وحين انطلقت آخر معركة للمجاهدين، وقبل أن يتبين لهم أنّ هذا النظام سينهار بلمح البصر، كانت تتوالى الاتصالات لدعمه ضدّ «الإرهاب». لم يخطر في بالهم أن بيت العنكبوت هذا سوف ينهار في لمح البصر بعد أن حطمت قوات إيران التي كانت تحميه وتسند، وبعد أن وجد الروسي أن لا مصلحة له بعد اليوم، فانهار في لمح البصر. والآن

يتسارعون لخطب ودّ الحكّام الجدد في سوريا، لتعرفوا أنّ هؤلاء سياسيون بلا مبدأ وبلا كرامة وبلا هيبة.

ما يريدونه للدولة الجديدة هو أن تكون عضواً صغيراً مهذباً في محفل المجتمع الدولي، تتلقّى أوامرها من السيد الأمريكي، وترعى جميع مصالح الدول الكبرى، وتكون جزءاً من المنظومة الإقليمية التي يترعّ كيان اليهود على زعامتها بعد أن صال وجال وقتل عشرات الآلاف من الأبرياء في فلسطين ولبنان. يريدون لسورية الجديدة أن تكون جزءاً ممّا يسمّى بالشرق الأوسط الجديد، الذي يصوّرونه للناس وكأنّه الشرق الأوسط الجميل، حيث الازدهار الاقتصادي والإثمار والإعمار الذي يشرف عليه المعلم الأكبر من البيت الأبيض، وحيث يكون العضو الأكبر فيه كيان يهود. يخطّطون لبنية تحتية متكاملة فيها المنطقة كلّها: سورية ولبنان وفلسطين وكيان يهود والعراق ومصر... فهم يرون أنّ هذا التكامل الاقتصادي المتشابك من شأنه أن يجعل سورية الجديدة أسيرة لبرامج تحوّل دون أن تكون ذات قرار مستقلّ. لا يريدون لبلاد الشام أن تكون نموذجاً لكيان الإسلام، ولا أن تقدّم للعالم صورة الحياة السياسية الإسلامية التي هي نموذج لم يعرفه العالم منذ أكثر من قرن من الزمان، بل إنّ هذا هو أكثر ما يخشونه.

أمّا المؤمنون المخلصون لدينهم فيجب عليهم في مواجهة هذه المؤامرة أن يكونوا على يقين

من أنّ الله سبحانه وتعالى حين شرع شريعته للناس ليعتمدها ويطبّقوها في حياتهم، فإنّه لم يشرعها فقط من أجل أن يتعبّد بها عباده. فغاية الشريعة الإسلامية لا تقف عند التعبّد فقط. فليست القضية أنّنا نريد أن نطبّق الشريعة فقط لمجرد التطبيق بصرف النظر عن قضية النهوض بالناس، ولا بصرف النظر عن العدالة الاقتصادية، ولا بصرف النظر عن الاستقرار المجتمعي. لا، ليس الأمر كذلك. فنحن فوق كوننا نعيد الله تعالى بتطبيق شرعه ورعايته شؤون الناس به، فإنّنا على يقين بأنّه لا يصلح أصلاً للناس دستوراً أو قانون غير ما شرعه الله تعالى. فشرع الله حينما يطبّق فإنّه يعالج مشكلات الناس. وهو الذي يرتقي بالبشرية. وهو الذي يوصلها إلى السعادة وبرّ الأمان. وهو الذي ينشئ نظاماً اقتصادياً عنوانه العدل في توزيع الثروات، لا كما فعل النظام الرأسمالي المجرم الذي يسيطر على العالم الآن، والذي ركّز ثروات البشرية في فئة قليلة من الناس، حيث يملك قلة من الأفراد عشرات المليارات ممّا لا تملكه دولة، بينما يتقاسم سائر الناس فتات هذه الثروات... هذا النظام المجرم يأتي رواده إلى سورية الآن ليعلمونا كيف تكون التنمية، وكيف يكون الاقتصاد، وكيف يكون الإعمار. يعلموننا كيف ينبغي أن نعيش، ويقولون لنا: ليس لكم سوى طريقتنا المثلى في العيش. يزعمون بكلّ وقاحة أنّ حياتهم المنتنة التي سادتها الجريمة والبغاء والرذيلة والشذوذ ووحشية رؤوس الأموال.. هي الطريقة المثلى في

أما نحن فواجبنا أن نقول لهم: نحن نعلمكم أيها التائهون.. نحن نعلمكم أيها الجاهلون طريقة العيش المثلى. نحن الذين قال الله في كتابه الذي أنزله علينا: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾، والماء الغدق كناية على الرزق الوفير. نحن الذين أخبرنا الله تعالى أنه ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾. قال المفسرون: إن الحياة الطيبة هي حياة الكرامة، وحياة السعادة. نحن الذين أخبرنا الله سبحانه وتعالى في كتابه أن المجد والشرف في اعتماد شرعه فقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾. والتاريخ شاهد على ذلك. فحين كان السلطان في الأرض لأمة الإسلام وكانت ثروات الأرض تحت تصرف المسلمين تصرفوا بها وفق شرع الله سبحانه وتعالى، فعرف العالم وعرف التاريخ ازدهار الاقتصاد وعدالة توزيع الثروة. فلم يستأثر المسلمون بثروات الأرض وحدهم دون سائر الناس، ولم تُرعَ في دار الإسلام شؤون المسلمين وحدهم، وإنما كانت عدالة النظام الإسلامي تشمل كل رعايا الدولة الإسلامية. وكل من كانوا يعيشون في الدولة الإسلامية من مسلم ونصراني ويهودي ومجوسي كانوا ينعمون بعدالة الإسلام. ولم يكن هناك محاكم يقف أمامها المسلمون متميزين من غيرهم، بل كان الرجل من أهل الذمة إن أصابته مظلمة من مسلم احتكم إلى القاضي فيأتي القاضي بهما معا ويجلسهما أمامه على السوية دون تمييز بين مسلم وغير مسلم، ويفصل الخصومة بينهما بشرع الله، فإن تبين أن الحق للمسلم أخذه، وإن تبين أن الحق للذمي أخذه. هذا النظام الذي طبقناه مئات السنين.. هذا النظام هو الذي يجب أن يطبق في بلاد المسلمين، بل هو الذي يجب أن يحمل رسالة إلى العالم، لأن العالم كله بحاجة إلى دين الله وشرعه، وبحاجة إلى تلك الرحمة المهداة التي قال الله تعالى فيها وفي نبيه ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾



هل الولايات المتحدة وإسرائيل تخططان لفصل دارفور

بقلم: حسن عبد الحميد



نشرت وسائل إعلامية سودانية تصريحاً لعبد الرحيم دقلو قائد ثاني مليشيا الدعم السريع المتمردة، ينفي فيه نية المليشيا فصل دارفور، وذلك على خلفية دخول قوات الدعم السريع، إلى مناطق واسعة في دارفور؛ وتهديد المليشيات المتمردة، للفاشر حاضرة إقليم دارفور؛ ولأن المريب يكاد يقول: خذوني كما في المثل العربي؛ فإن هذا التصريح، يثير مسألة انفصال دارفور ويؤكد الشكوك أكثر مما يطمئن؛ ويجعل التساؤلات تكثر حول هذه القضية، على خلفية الحرب التي يخوضها الجيش السوداني ضد المليشيا المتمردة والتي تدّعي بغير وجه حق أن دارفور تمثل حاضنتها الاجتماعية والسياسية رغم أن المليشيا ارتكبت جرائم في حق مواطني دارفور وما رست ما يمكن أن يعد تطهيراً عرقياً بحق بعض القبائل في إقليم دارفور.. ولأن قادة المليشيا المتمردة غالباً ما يعملون في أحيان كثيرة عكس ما يقولون.

وبعيداً عن تصريحات المتمرد دقلو يبدو أن دارفور «مثل جنوب السودان» قد دخلت في الاستراتيجيات الدولية وخاصة الأمريكية والاسرائيلية منذ زمن بعيد واستهدفت هذه الاستراتيجيات على المدى البعيد فصل دارفور عن السودان كما فعلت بالجنوب وذلك لما تتمتع به دارفور من موقع متميز مطلق على غرب أفريقيا وهي المنطقة التي تشهد صراعاً دولياً محموماً بسبب ما تزخر به من موارد نفيسة ونادرة

والمعروف أن إسرائيل منذ خمسينيات القرن الماضي على أيام بن جوريون قد اعتمدت في مواجهة العالم العربي استراتيجية (شد الأطراف) والمقصود بها شغل العالم العربي بمشاكل وقلاقل في أطرافه حتى تخفف ضغط مواجهة العرب لإسرائيل وذلك بإثارة القلاقل في أطراف العالم العربي خاصة مع ذوي الأصول غير العربية في محاولات لإثارة الفتن بين مكونات القطر الواحد كالأكراد في العراق والبربر في المغرب العربي.. وفيما يخص السودان من هذه الاستراتيجية نشطت إسرائيل في دعم حركات التمرد في جنوب السودان في ستينيات القرن الماضي وقد اعترف بهذا الدعم الاسرائيلي جوزيف لاقو وهو واحد قيادات تمرد جنوب السودان في مذكراته التي نشرها لاحقاً وجوزيف لاقو هذا «لغير المتابعين للشأن



السوداني» قد وصل إلى منصب نائب رئيس الجمهورية في السودان في أواخر عهد الرئيس الأسبق جعفر نميري إثر اتفاقية أديس أبابا التي عقدها معه نميري ... ولأن التاريخ يعيد نفسه أحيانا في حوادث متشابهة فقد وصل جون قرنق قائد التمرد الثاني في جنوب السودان منذ ثمانينيات القرن الماضي إلى منصب النائب الأول في الدولة إثر توقيع الرئيس البشير معه على اتفاقية نيفاشا عام 2005م والمعروف أن قرنق قد سقطت به طائرته الخاصة بعد أسابيع من حضوره للخرطوم نائبا أول لرئيس الجمهورية... لكن نائبه سلفاكير الرئيس الحالي لجنوب السودان قد خلف قرنق في موقعه إلى أن انفصل الجنوب في العام 2011م.

ثم انتقلت الاستراتيجية الاسرائيلية من (شد الأطراف) إلى استراتيجية (بتر الأطراف) وتعني السعي لانفصال أقاليم عن أوطانها.. وهي الاستراتيجية التي تم تطبيقها في جنوب السودان ولعله من تتبع الأحداث

يخشى كثير من المراقبين أن يسعى لتطبيقها على دارفور لا قدر الله.

ولعل المتابعين للشأن السوداني قد لاحظوا بوضوح تبني مجموعات الضغط الصهيونية في الولايات المتحدة لقضية دارفور يعاونهم في ذلك بعض العلمانيين والمتمردين من أبناء دارفور.. وهذا الأمر لا يمكن أن يكون من فراغ وبلا هدف.. ولعل المتابعين يلاحظون أيضا أن معظم المهاجرين الي (إسرائيل) من السودانيين بعد تفجر أزمة دارفور عام 2003م كانوا من إقليم دارفور

رغم أن القوانين السودانية تحظر الهجرة إلى إسرائيل وهذا مؤشر آخر لما تخطط له (إسرائيل) لدارفور وفق استراتيجياتها التي أشرنا إليها آنفا.

هذا - باختصار - عن الدور الاسرائيلي في السودان وهو دور متشعب ومتشابك ومؤذٍ وتستعين فيه بمعاونين من السودانيين وغير السودانيين فماذا عن الدور الأمريكي باختصار أيضا.

الدور الأمريكي متشعب ومتشابك أيضا وتحكمه استراتيجيات بعضها منشور كما سئرى ولا يستطيع الحزب الذي يحكم في البيت الأبيض تغيير هذه الاستراتيجيات حتى لا تقع في فخ أن الجمهوريين افضل من الديمقراطيين او العكس وهذا وهم كبير يسقط فيه البعض.

ولنضرب مثالا لخطة أمريكية تحدد استراتيجياتها في المنطقة وهي واحدة من خطط كثيرة معروفة ومنشورة وما خفي أعظم.. فقد نشرت صحيفة "الصحافة" السودانية في عددها رقم (4188) الصادر يوم الثلاثاء 2005/2/1م تقريراً يلخص ورقة عمل أعدها مستشارو بوش الابن للشرق الأوسط بعنوان "هل يبدأ سقوط القوي الأمريكية العظمى من الشرق الأوسط" .. تحدد الورقة ملامح الاستراتيجية الأمريكية لمنطقة الشرق الأوسط وتقدم توصيات وأخطر ما في هذا الجزء من الخطة؛ أن الورقة تدعو إلى تحديد المفصل الاستراتيجي

الذي تتمكن من خلاله الولايات المتحدة من القضاء علي فكرة

الرباط الاستراتيجي بين الدول العربية في شمال إفريقيا وبين الدول الإفريقية وتشير الورقة تحديداً إلى موريتانيا وجنوب السودان كنقطتين هامتين يجب تعزيز الاهتمام بهما في المرحلة القادمة ثم تأتي الورقة إلى أخطر السيناريوهات القريبة؛ إذ لا تستبعد تقسيم السودان إلى ثلاث دويلات ترتبط الشمالية منها بمصر والجنوبية بالولايات المتحدة والغربية " بإسرائيل". وقد تم للورقة ما أشارت إليه في موضوع جنوب السودان... ومؤكد أن البعض من قادة السياسة الأمريكية سيواصلون بقية المخطط.

ها قد التقينا بإسرائيل مرة أخرى في ورقة أمريكية قدمت للرئيس الأمريكي وقد تمكنت الولايات المتحدة - بمساعدة الساسة من الجنوب - من فصل جنوب السودان - حسب الخطة - في العام 2011م.. وقد استمعت لوزير الخارجية السوداني الأسبق الدكتور مصطفى عثمان إسماعيل الذي ذكر في محاضرة عامة بالخرطوم أنه شاهد في الولايات المتحدة خريطة للعالم العربي وهو مقسم إلى دويلات.. وهذه الأيام ينشر السفير السوداني السابق عبد الله الأزرق مقالات عن دور الولايات المتحدة في فصل جنوب السودان يمكن أن يراجعها من شاء الاستزادة في الموضوع وهي مقالات تكتسب أهميتها من أن كاتبها عمل في السفارة السودانية واشنطن في تسعينيات القرن الماضي والمقالات مليئة بالمعلومات المفيدة المثيرة... والملاحظة الجديرة بالاهتمام هنا أن الورقة الأمريكية التي أشرنا إليها

آنفا قُدمت إلى بوش الابن وهو من الحزب الجمهوري.. ومن تم في عهده فصل الجنوب أو باما وهو من الحزب الديمقراطي وفي هذا دليل على أن الاستراتيجيات الدولية الأمريكية لا تتأثر كثيرا باللون السياسي ثم شاركت من بعد في رعاية محادثات جدة بين الحكومة السودانية ومليشيا الدعم السريع المتمردة.

ومما يثير القلق في مسألة دارفور ويزيد المخاوف من انزلاقها في المخططات الأمريكية والإسرائيلية أن اتفاقية جوبا التي تم توقيعها مع الحركات المتمردة بعد سقوط نظام البشير قد جعلت دارفور من دون اقليم السودان _ إقليما قائما بذاته ونصبت عليه حاكما.. وهكذا أصبح لدينا في دارفور ثلاث مستويات للحكم المستوى الاتحادي (الفدرالي) والمستوى الولائي وبينهما المستوى الاقليمي... وهو نفس ما حصل في جنوب السودان الذي جعلت منه اتفاقية نيفاشا إقليما قائما بذاته وهو ما قاد لاحقا _ مع عوامل أخرى _ لانفصال الجنوب رغم أن طرفي الاتفاقية نصا على أن تعمل أطراف الاتفاقية للوحدة الجاذبة !!! فهل يخطط البعض لتكرار نيفاشا في دارفور؟.

كنت أتحدث بُعيد انفصال الجنوب مع احد شيوخ الحركة الإسلامية السودانية وهو إمام مسجد شهير بالعاصمة الخرطوم فقال لي لقد تم انفصال الجنوب ولكننا يجب ألا نسمح بانفصال دارفور وجنوب النيل الأزرق لان هاتين المنطقتين شهدتا قيام سلطنة دارفور الإسلامية وسلطنة الفونج الإسلامية (وتسمى أيضا السلطنة الزرقاء او مملكة سنار)... وما ذهب اليه هذا الشيخ يجب أن يكون مبدأ لا حياد عنه لدي المسلمين في السودان وهم الاغلبية الكاسحة بنسبة تتجاوز 97% بعد انفصال الجنوب.. وإذا اتفق المسلمون في السودان على هذا المبدأ يمكن ان شاء الله أن نهزم المخططات والاستراتيجيات أيا كان مصدرها. لساكين البيت الأبيض والملاحظة الأخرى أن الولايات المتحدة رعت مع آخرين اتفاقية نيفاشا



عندما يسير التاريخ

إلى الورا (2)

أ. محمد خليفة
كاتب وباحث



هذا المقال إجابة عن سؤال لم يسأل بعد وهو:

لماذا لم تدخل أوروبا الإسلام؟

عندما استلمت أوروبا الناهضة مشعل الحضارة من المسلمين الذين أفل نجمهم في النصف الأول من الألفية الثانية، اختارت أوروبا أن تسير إلى الوراء وليس إلى الأمام. وكان صاحب التأثير الذي فرض هذا الخيار هو المنظمة العالمية للصد عن سبيل الله (الكنيسة). وحتى أبين كيف سارت أوروبا إلى الوراء سأستعرض تاريخها وهي تسير إلى الأمام حتى استلم منها المسلمون مشعل الحضارة أولاً. ثم ابين كيف تعاضد العقل والوحي، بشكل لا سابق له، في الحضارة الإسلامية ثانياً. ثم ابين بعد ذلك كيف اتجهت النهضة الأوروبية إلى الخلف، وسارت في عالم الأفكار إلى الوراء، عند استعادتها مشعل الحضارة من المسلمين ثالثاً.

الآلهة وقد عاش هذا المفكر بين (570-480 ق م).

• اللوغس. مصطلح جامع للعقل والمنطق والحساب ومصدره هيراقليطس (535-470 ق م).

• تأليه العقل. نظرية اغريقية قائمة على أن العقل هو الذي نظم كل شيء والعلة لجميع الأشياء، ومصدر هذه النظرية أناكساغوراس (500-428 ق م)

• الإنسان. هو المقياس لجميع الأشياء، بما في ذلك الآلهة، عند بروتاغوراس (487-420 ق م).

هذه الأفكار ذات أهمية وما زالت متداولة إلى يومنا هذا، ولكن سأقف عند رفض زينوفانس لفكرة تعدد الآلهة، والقول بضرورة إله واحد. إذ كان على الفكر البشري أن ينتظر ألف سنة بعد زينوفانس حتى ينتقل من «رفض تعدد الآلهة» إلى «نفي تعدد الآلهة» واثبات الوحداية لله وحده، عند ظهور الإسلام. ومختصر نفي تعدد الآلهة واثبات الألوهية لله وحده هو شهادة أن «لا إله إلا الله». وعلى هذا النفي والاثبات أنبنى نظام عالمي (اسمه الإسلام) وشهدت الدنيا حضارة تأسست في كل تفاصيلها على ذلك النفي والاثبات، واسمها الحضارة الإسلامية. هذه الحضارة استلمت العقل البشري حول المتوسط عند آخر نقطة تركه عندها الفكر الإغريقي وسارت به مسافات فلكية إلى الأمام. وهو ما سأعود إليه بعد الفراغ من مغادرة الفكر الإغريقي لحقبة السفسطة والانتقال إلى «حب الحكمة» دون مقابل وهو «الفلسفة».

(ب) من السفسطة إلى الفلسفة.

في حوالي سنة 500 ق م ظهر مصطلح «اللوغس» Logos الذي يترجم إلى «كلمة» و«كلام» و«عقل» و«منطق» و«حساب». ومن غرائب هذا المصطلح أنه أصبح أسماً للمسيح بعد

لا شك أن الحضارة الأوربية قد استفادت من الحضارات الشرقية، بطريقة أو بأخرى، لكنها احتفظت بشخصيتها الإغريقية-الرومانية، وظلت في صلبها إغريقية حتى بعد أن انقلبت يهودية-مسيحية. وما ساهتم له الآن هو مسيرة التقدم في الفكر الإغريقي، الذي انتقل من الأسطورة إلى السفسطة، ثم من السفسطة إلى الفلسفة.

(أ) من الأسطورة إلى السفسطة.

1) حقبة الأسطورة. وتمتد هذه الحقبة بين القرنين الثاني عشر والسادس قبل الميلاد. وما ميز هذه الحقبة أن الدين كان فيها جزءاً من الأساطير التي نظمت في أشعار وقصائد بلغ بعضها آلاف الابيات. وأهم الأساطير في هذه الحقبة «اللياذة» و«الأوديسا» لهوميروس، و«تناسل الآلهة» لهزيود. ولم يكن الدين في هذه الحقبة جزءاً من الأساطير فقط، بل كان متعدد الآلهة كذلك. وقد قيل إن عدد آلهة الإغريق قد بلغ في ذاك الزمن ثلاثة وثلاثين ألفاً، كبيرهم زيوس.

2) حقبة السفسطة. وتغطي هذه الحقبة فيما يخصني ما يسمى تقليدياً ما قبل سقراط. والمقصود بالسفسطة لغوياً الاشتغال بالحكمة ممارسةً وتعليماً. ويسمى صاحب هذه الممارسة سفسطائي (Sophist). وقد عيب على السفسطائيين تعليم الناس الجدل والخطابة للالتصار في المناظرات الكلامية والمعارك السياسية، دون اكتراث للحقيقة، وأخذ مقابل عن ذلك. وبالرغم مما سلف؛ لهذه الحقبة التي امتدت لقرون أثر كبير في عالم الأفكار التي ما زالت متداولة إلى يومنا هذا، وسأوجزها على النحو الآتي؛

• التنظير. بدايته في هذه الحقبة؛ ومن منا لا يذكر نظرية فيثاغورس (570-495 ق م).

• تعدد الآلهة. رفض زينوفانس فكرة تعدد

فوراً بالنقاش والدحض، ليزيحها من أمام العقل السليم.

أ) قضية الأسطورة. واجه القرآن لحظة نزوله ظاهرة اختلاط الدين بالأساطير التي كانت منشرة بالفعل قبل الإسلام. وكان مما أثارتها قريش في وجه الدعوة أن القرآن من «أساطير الأولين»! وفي هذا السياق كان القرآن فرقان ما بين الدين والأسطورة لأول مرة في تاريخ البشرية. وقد عالج الوحي فرضية الأسطورة في سورة الفرقان، بين آيات متفرقة في سور أخرى تصدت للمسألة ودحضت الفرضية. ولذا لم يحفل المسلمون بأساطير الاغريق ولا أشعارهم، بل كان جل اهتمامهم بما سمي «العلوم العقلية» التي كانت في حينها من مفردات الفلسفة التي تصدر عن النظر العقلي بشكل حصري. وهذا يعيدنا إلى قضية العقل التي بدأت تفرض نفسها على بساط البحث ولا سيما في العصر العباسي.

ب) قضية العقل. في السياق الإغريقي التفكير في العقل تفكير في الله، ف«العقل يحكم العالم» مقولة اغريقية معبرة عن فكرة وحدة الوجود التي ما انفكت تحكم العقل الأوربي والفكر الغربي بين افلاطون ويومنا هذا!

وكان دخول الفلسفة الإغريقية دائرة الفكر الإسلامي إعادة طرح لمسألة الألوهية من جديد ومن زاوية جديدة، هي زاوية النظر العقلي الصرف. وترتب على هذا التحدي ظهور علم الكلام، بما هو «دفاع على العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية» حسب عبارة ابن خلدون. ولذا تكاثرت «مجالس الكلام» في العصر العباسي، وكان شرط الاشتراك فيها الاحتكام للعقل وحده. وحيث قبل المسلمون هذا الشرط لا بد من العودة إلى صاحب العقل وهو «الإنسان» وليس للعقل ذاته لأن العقل ليس ذاتاً، بل صاحب العقل (الإنسان) هو الذات التي توجه لها القرآن بالخطاب.

كان مبتدأ الإسلام الأول دعوة إلى نفي تعدد

تحول أوروبا إلى المسيحية، وتُرجم إلى علم «الكلام» و«المنطق» عند المسلمين عندما وصلتهم فلسفة الاغريق وترجمت كتبها إلى العربية.

ويعد ظهور هذا المصطلح النقطة الفاصلة، أو الحلقة الواصلة، بين عصر الاسطورة وعصر العقلانية عند الاغريق، والتي يعبر عنها عادة بثنائية التناقض بين العقل والأسطورة (Logos- Mythos). وبذا نرى التقدم الفكري المحرزي في هذه الحقبة التي يشار إليها عادة بفلسفة أو فلاسفة ما قبل سقراط، التي لم يبق منها شيئاً مكتوباً سوى شذرات، ولم يترك سقراط نفسه شيئاً مكتوباً لكن تلميذه افلاطون دون محاوراته من بعده على النحو المعروف.

ويعد افلاطون وتلميذه أرسطو قمة الفلسفة الإغريقية، وقد انتهى افلاطون إلى «الواحد» وانتهى أرسطو إلى «الأول». ومن بعد جاء الإسلام ليجمع الواحد والأول في «الأحد»، في سورة الإخلاص تحديداً. وبذا شهد الفكر البشري نقلة شاسعة إلى الأمام، وولدت الأمة التي ستحمل مشعل الحضارة لألف سنة، ثم تسترده منها أوروبا مرة أخرى دون أدنى اعتراف بالجميل، وهذا هو ما يسمى الجحود أو الكفر، الذي سنراه في موقف الكنيسة لاحقاً. لكن لنبقى الآن مع اختلاط الحق بالباطل في الفلسفة الإغريقية، وهو ما مثل معضلة كان على الحضارة الإسلامية الناشئة التعامل معها.

ثانياً: تعاضد العقل والنقل في الإسلام

قد يكون من المناسب هنا التذكير بمقولة الجابري: «التفكير في العقل درجة من المعقولية أسمى ... من درجة التفكير بالعقل»! وقضية «العقل» كمفكر فيه لم تكن من القضايا التي تصدى لها الوحي بشكل مباشر، من أول يوم، مثلما كان الحال مع فكرة الأسطورة التي وضعتها قريش أمام الدعوة فتصدى لها القرآن

شريعتنا أتم من غيرها لجعلها العبادة وسيلة للفضيلة، وهذا مما يمكن استقراءه بالعقل مثلما أن «الصلوات تنهى عن الفحشاء والمنكر كما قال تعالى. وإن الصلاة الموضوعة في هذه الشريعة [الإسلامية] يوجد فيها هذا الفعل أتم منه في سائر الصلوات الموضوعة في سائر الشرائع، وذلك بما شرط في عددها وأوقاتها وأذكارها وسائر ما شرط فيها من الطهارة ومن التروك؛ أعني الأقوال والأفعال المفسدة لها».

ولما كانت الفضيلة هي منطقة الاتصال بين الشريعة والفلسفة رأى ابن رشد كيف يكون الوحي أصل للحكمة ومتقدم عليها، وليس خصماً لها أو متخلف عنها إذ «لم تزل الحكمة أمراً موجوداً في أهل الوحي وهم الأنبياء عليهم السلام، ولذلك أصدق قضية هي أن كل نبي حكيم وليس كل حكيم نبي، ولكنهم العلماء الذين قيل فيهم إنهم ورثة الأنبياء».

وبناء على هذه المقدمات لا يستغرب عاقل أن ابن رشد رأى صورة الكمال في الشريعة المستنبطة بالجمع بين العقل والوحي، كما لا يستغرب إضافته النقص إلى الشريعة المستنبطة بالعقل وحده، فهذا هو يقول: كل شريعة كانت بالوحي فالعقل يخالطها، ومن سلم أنه يمكن أن تكون ها هنا شريعة بالعقل وحده فإنه يلزم ضرورة أن تكون أنقص من الشرائع التي استنبطت بالعقل والوحي».

ابن رشد لم يتوقف فقط عند كون الحكمة «صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة»، بل تجاوز ذلك لتبيان كيف توجه الوحي بالإنسانية إلى الأمام في المرحلة القرآنية، فتحقق التقدم النظري بالتعاقد بين العقل والنقل في مجال التشريع كضرورة مدنية تؤخذ عن الأنبياء تقليداً ثم تنطلق اجتهاذاً.

كانت فكرة التقدم ظاهرة في طروحات ابن رشد التي جاءت تتويجاً لثلاثة قرون من البحث في موضوعات الفلسفة. ذاك البحث الذي ابتدأ بالكندي في القرن الثالث، واختتم بابن رشد في

الآلهة، وفي هذا السياق توجه القرآن إلى «أولي الالباب» و«أولي النهى» دون ذكر لمفردات من نوع «عقل» أو «عاقل». وليس بغير مضمون أن يذكر القرآن العقل في باب الأفعال (يعقلون وتعقلون) وليس الأسماء، لأن العقل مجرد قوة من قوى الإنسان التي يمكن أن يفقدها مثلما يفقد أي من قواه الأخرى مثل السمع أو البصر.

العقل ليس شيئاً منفصلاً عن الإنسان إذن، ولم يكن قضية مثارة ولا فيه كثرة أخذ ورد لحظة نزول الوحي على النبي عليه الصلاة والسلام. وبذا يكون عدم ذكر العقل كمفردة في القرآن، والتركيز على الفعل (أفلا يعقلون؟ أو لعلمكم تعقلون) وليس الاسم (العقل أو العاقل) تمهيداً للأرضية التي سيتم التأسيس عليها عندما تأتي لحظة الإسلام الثاني، الذي سيقوم على نفي ألوهية العقل، لما تمثله من عودة إلى طريق الأساطير وتعدد الآلهة، التي كانت محلاً لنفي الإسلام الأول.

ولم يغادر القرآن العقل حتى ضبطه من طريق وحدد وظيفته من أخرى: (1) تم ضبط العقل من طريق الإعجاز الذي يثبت أن العقل ليس إلهاً، وبذا يقفل خط الرجعة إلى تعدد الآلهة من طريق الهوى الذي قد يُسمى عقلاً، (2) وبنزول الوحي أصبح الاجتهاد وظيفه مدنية للعقل (المسلم)، عقل الإنسان المنضبط على القرآن المتبع للسنة.

هذه الوظيفة كانت في غاية الوضوح عند ابن رشد الذي تقرر لديه: «أن الشرائع هي الصنائع الضرورية المدنية التي تأخذ مبادئها من العقل والشرع». وتقوم المنهجية المحققة لهذا الغرض على «أن يتقلد من الأنبياء والواضعين مبادئ العمل والسنن المشروعة.. والممدوح عندهم من هذه المبادئ الضرورية هو ما كان منها أخص للجمهور على الأعمال الفاضلة حتى يكون الناشئون عليها أتم فضيلة من الناشئين على غيرها...».

وبعد ما يقرر ابن رشد ما سلف ينتهي إلى أن

القرن السادس للهجرة. التقاء عقل أرسطو بختام الوحي كما آمن به ابن رشد كان قمة اللقاء بين العقل والوحي في حوار الحضارات حول المتوسط. هذا التقدم لم تره الكنيسة لأنها كانت طرفاً في الصراع وليس الحوار. وفي اخلاص منقطع النظر لوظيفتها التاريخية وهي «الصد عن سبيل الله» رفضت الكنيسة التقدم الذي حققه الفكر الإسلامي، وحاولت قدر جهدها عرقلة سير تاريخ الأفكار إلى الأمام.

ثالثاً: سير أوروبا إلى الوراء

توفي ابن خلدون في نهاية القرن الثامن للهجرة وهو بداية القرن الخامس عشر الميلادي (1405م)، وكانت «المقدمة» بمثابة التقرير الختامي للحضارة الإسلامية التي سلمت مشعل الانوار إلى الضفة الشمالية من المتوسط. وفي هذا يقول ابن خلدون: «بلغنا لهذا العهد أن هذه العلوم الفلسفية ببلاد الإفرنجية من أرض رومة وما إليها من العدة الشمالية نافقة الأسواق، وأن رسومها هناك متجددة ومجالس تعليمها متعددة ودواوينها جامعة...»!

عندما كتب ابن خلدون هذا الكلام، كانت أوروبا تعب من أفكار ابن رشد على مدى قرنين من الزمان، إذ مات ابن رشد سنة 1198م، فترجمت أفكاره بعد موته وكانت باريس من أماكن تدريسها في الجيل التالي. وفي سنة 1277 حرمت الكنيسة تدريس فلسفة ابن رشد في جامعة باريس، لكن الإجراء كان متأخراً نسبياً إذ أصبحت الرشدية اللاتينية مصدر إلهام للنهضة الأوروبية ومدرسة لها تلاميذها في طول أوروبا وعرضها.

في هذه الحقبة انصب جهد الكنيسة على أخذ فلسفة أرسطو في شروح ابن رشد ورفض الإسلام، وقد سارت الكنيسة بأوروبا على هذا النهج في خطوتين متوازيتين. في الأولى عادت إلى أرسطو ما قبل الإسلام تاركة اسهامات المسلمين وراء ظهرها، وفي الخطوة الأخرى وضعت الكتاب المقدس حيث وضع ابن رشد القرآن. وأشهر من انتهج هذا النهج هو القديس توما الاكوييني، الذي يقول عنه ارنست رينان إنه كان أكبر تلاميذ ابن رشد وأكبر خصوم الرشدية في نفس الوقت: أكبر تلاميذه ابن رشد في أخذ فلسفة أرسطو عنه، وأكبر خصم للرشدية لصده عن سبيل الله والسير بأوروبا إلى الوراء (الكتاب المقدس) وليس إلى الأمام (القرآن).

ولما كانت التوراة والانجيل محرفتان انتهت أوروبا إلى نبذهما لتحرير العقل الأوربي من أغلالهما. وقد اعتمدت في ذلك على نقد ابن حزم للكتاب المقدس والتحريفات الوارد به. ومن غرائب الاحداث أن تنسب فرضية الحقيقة المزدوجة -التي قامت عليها العلمانية- لابن رشد. وتقول الفرضية إن ابن رشد يعتقد أن الحقيقة الدينية تختلف عن الحقيقة العقلية او العلمية، وهذا هو المقصود بالحقيقة المزدوجة. لكن ابن رشد لم يتفوه بهذا الهراء بل يقول «الحق يعاضد الحق ويشهد له». والمراجع الأوربية الرصينة من نوع الموسوعة البريطانية تنفي أن تكون «الحقيقة المزدوجة» لابن رشد، وتنسبها لتلاميذه الأوربيين. وكل هذا التخبط منشأه السير بتاريخ الأفكار إلى الوراء، والصد عن سبيل الله اللذين مارستهما الكنيسة طوال تاريخها. ليس من قبيل الصدفة إذن أن يتزامن دخول الأوربيين في دين الله أفواجا مع انهيار الكنيسة في أوروبا.

الدروس المنسية في فتح الشام



محمد الهامي



في مثل هذا اليوم قبل خمسة عشر قرناً وربع القرن (الأحد: 15 رجب 14 هـ = 3 سبتمبر 635م) كانت نقطة فاصلة في تاريخ الأمة الإسلامية، وتاريخ العالم كله: فتح دمشق!

لن يحاول هذا المقال التغني ببطولة الفاتحين، مع أنهم فخر الإنسانية في الفتوح: قوة وجسارة، وعدالة ورحمة. كما لن يحاول اجترار الأمجاد، وما على المرء من بأس إن افتخر بأسلافه.. وإنما سيلقي الضوء على ثلاث دروس مستفادة منه.

1. موجز قصة الفتح

ما إن انتهت حروب المرتدين حتى بدأت الفتوحات، بدأت في جبهة الفرس أولاً لأنهم كانوا قد ساعدوا المرتدين في شرق الجزيرة العربية، فبعث أبو بكر جيشان: أحدهما بقيادة خالد بن الوليد والآخر بقيادة عياض بن غنم الفهري، واستطاع خالد بن الوليد أن يكتسح جيوش الفرس بسرعة مدهشة حتى أنه أزال الفرس عن كل مناطق غرب نهر الفرات، وفتح الحيرة - أول عواصم الفرس - بعد أربعين يوماً فحسب من انطلاقته. فكانت نتاج فتح فارس أفضل من المتوقع!

بعدها بقليل أخرج أبو بكر خمسة جيوش لفتح الشام، وكانت خطته أن خمسة جيوش ستجعل هرقل يقسم جيشه الكبير إلى خمسة جيوش، ومع أن كل جيش من الخمسة سيكون أعظم بكثير عدداً وعدة من الجيش المسلم إلا أن هذا الحال أفضل من توحيد الجيوش

الخمسة الإسلامية لتقابل جيش هرقل الكبير مرة واحدة، إذ الفارق هنا مهول للغاية. لكن هرقل - وهو من أشهر المحاربين في التاريخ - فهم مراد أبي بكر، فلم يقسم جيشه، وعمل على أن يكون جيشه موحداً وكبيراً ويهاجم الجيوش الإسلامية الواحدة تلو الأخرى، فكان هذا يجبر الجيوش الإسلامية كلما فتحت بعض المناطق على أن تنسحب منها لأن جيش هرقل يحاول الالتفاف حول كل منهما.. وهكذا تعثروا تباطؤاً مسار فتح الشام رغم أن فيه خمسة جيوش!

إزاء هذا الوضع قرر أبو بكر أن يقسم جيش الفتح في فارس، وأن يبعث بنصفه مع خالد بن الوليد ليدعم جيوش الشام، وقد كان.. وبسرعة، ومن طريق وعر خفي سار خالد من العراق إلى الشام فوصل إلى دمشق والمسلمون في حصارها.

تكرر هذا المشهد ثلاث مرات: الجيش الإسلامي - الذي صار واحداً تحت قيادة خالد - يريد دمشق، لأنها عاصمة الروم في الشام، لكن دمشق محصنة بأسوار منيعة، فيحاصرها، وقبل أن يفتحها يكون هرقل قد أرسل جيشاً يتوغل جنوباً ليحيط بالمسلمين، فيضطر الجيش للانسحاب جنوباً، وخوض معركة كبيرة، ينتصر فيها ثم يعود إلى دمشق، فيحاصرها، وبينما هو كذلك يأتي جيش آخر.. وهكذا!

حتى كانت المرة الثالثة، إذ استطاع الجيش الإسلامي أن يفتح دمشق بعد حصار أربعة أشهر، وبعد معركتين كبيرتين هُزم فيهما جيش الروم هما: أجنادين، وفحل بيسان..

ثم أرسل هرقل آخر ما في جعبته، فكانت معركة اليرموك الخالدة والتي كانت الهزيمة فيها هي نهاية وجود الروم في الشام إلى الأبد!

2. السلطة والدين: صراع الدنيا والآخرة

لا يعرف الكثيرون أن إمبراطور الروم هرقل الذي دافع عن الشام بكل استماتة كان يعرف من اللحظة الأولى أنه مهزوم وأنه مطرود من الشام!! نعم، كان يؤمن بهذا ورغم ذلك فقد أهلك مئات الآلاف من جيشه، وما لا يحصى من الأموال والعتاد.. كيف ذلك؟

قصة هذا تعود إلى ما قبل الفتح بثمانية أعوام، حين تلقى رسالة من النبي -صلى الله عليه وسلم- يدعوه فيها إلى الإسلام، كان هرقل سياسياً عظيماً وكان صاحب علم كذلك، فما إن رأى الرسالة حتى قبض على أبي سفيان -الذي كان في تجارة بالشام- وسأله أحد عشر سؤالاً بالضبط، أسئلة واضحة ومحددة وتدل على علم وفهم وخبرة قوية، أحد عشر سؤالاً عن النبي :

كيف نسبه فيكم؟ هل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ هل كان من آبائه من ملك؟ أشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ أيزيدون أم ينقصون؟ هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ هل يغدر؟ هل قاتلتموه؟ كيف كان قتالكم إياه؟ ماذا يأمركم؟

وبعد أن سمع الإجابة قال: إن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين!!

حاول هرقل أن يجس نبض حاشيته والقساوسة في مسألة الإسلام واتباع النبي، فلقد عرف أنه الرسول الذي بشر به المسيح بن مريم، إلا أنه وجد منهم صدوداً وخشي أن ينقلبوا عليه، فاصطنع أنه إنما كان يختبرهم.. ومنذ هذه اللحظة فضّل هرقل سلطة الدنيا على جنة الآخرة، وقاد نفسه وأمته وهو يدري ويعرف ويقصد إلى الهزيمة في الدنيا وإلى النار في الآخرة!!

نعم.. تلك حقيقة من أصلب حقائق الدنيا، شهوة السلطة قد تحمل المرء على أن يختار النار والهزيمة معاً! وهو يخضع لتلك الشهوة ويستجيب لها ولو كان الثمن ملايين الأرواح، ومليارات الأموال، وضياع البلاد، وذنوب تتراكم بلا نهاية في ميزان السيئات. ولقد تظل شهوة الحكم مستعرة ملتبهة مهما بدا أنه إلى ضياع وزوال.. وهذا بشار الأسد ومحمود عباس وغيرهما كأمثلة: هم على استعداد لبيع كل شيء، كل شيء.. وتدمير كل شيء، واستجلاب الأجانب ليحكموا البلاد ويبيدوا العباد، مقابل سلطة صارت شكلية ومقابل لقب فارغ المضمون!

3. العواصم السياسية

قبل الدينية

العاصمة ميزان البلد، والمسيطر عليها لا يزال هو المنتصر في معادلة الصراع، يظل الاحتلال محاولة

حتى يسيطر على العاصمة فيصير واقعاً، وتظل الثورة محاولة حتى تفتح العاصمة فتنتصر، ويدافع الحاكم عن عاصمته حتى النهاية فإن سقطت سقط حكمه وتحول إلى مقاوم أو لاجئ! أو سابق! ويمكن للثورة أن تظل محاولة لعشر سنين أو حتى عشرين سنة قبل أن تموت من تلقاء نفسها أو تقضي عليها السلطة المركزية في العاصمة.. العاصمة هي حلم كل حاكم، وكل محتل، وكل ثورة. ولقد كانت مكة عاصمة العرب، بعث فيها النبي ولما هاجر منها بعد جحود زعمائها بشره الله أنه سيعود إليها، وكل السيرة هي رحلة العودة إلى مكة، فلما فتحت مكة، فتحت جزيرة العرب ودخل الناس في دين الله أفواجا (إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا).

هذا الكلام من البديهيات الذي يكون من السفه ترديده لولا أننا في عصر عجيب غريب، يحتاج دائماً لتأكيد المؤكد وتثبيت الثابت وتوضيح الواضح.. وفي قصة فتح الشام نرى أن الصراع دائر حول دمشق، ودمشق هي العاصمة السياسية للإمبراطورية البيزنطية في الشام، ولم يدر الصراع حول بيت المقدس رغم أنها العاصمة الروحية الدينية المقدسة لدى المسلمين والنصارى على السواء، وبقيت مدينة بيت المقدس لم تفتح إلا بعد انكسار القوة العسكرية الرومية تماماً، ثم فتحها عمرو بن العاص بعدها بسنتين في عام 16هـ.

كان الصحابة رجال سياسة وحكم، ولم يكونوا دراويش بالمعنى المفهوم للكلمة في عصرنا هذا.. وأكاد أقسم أن الحركات الإسلامية

الآن لو خيَّرت بين فتح دمشق أو فتح القاهرة وبين فتح القدس أولاً، لاختارت جميعها فتح القدس.. بعضها لأن يظن أن القاهرة ودمشق لا تحتاج إلى فتح أصلاً!! وبعضها ربما إن فتح القدس سلَّمها لشبيه محمود عباس وبشار الأسد وعبد الفتاح السيسي تحت دعاوى المصالحة الوطنية والتوافق والزهد في الدنيا، لتصير القدس محتلة عبر الوكلاء بعدما تحررت من أسيادهم!

4. المخابرات والفتح

كيف فتحت دمشق؟

مع كل البسالة والبطولة والجسارة، كان العامل الأهم في فتح دمشق لقوة المخابرات الإسلامية.. لقد عملت الأسوار والتحصينات على منع المسلمين من اقتحام دمشق مع بقائهم حولها شهوراً،

كانت دمشق يحيط بها سور كبير، ومن ورائه خندق يملؤونه بالمياه إن وقع الحصار، فيكون أمام المهاجم مانع مائي ثم مانع حجري، مع وجود فرق الدفاع التي تحمي السور.

مع سائرها استخدمه المسلمون من وسائل الرمي والمجانيق لم يتحقق الفتح، لكن خالد بن الوليد استطاع أن يصطنع العيون والأتباع الذين ينقلون إليه خبر ما يحدث بالداخل، فنُقِل إليه خبرٌ صغير يقول بأن بطيريك الروم قد وُلِد له مولود، وأنه سيقم له احتفالاً هذه الليلة.

من فوره وضع خالد بن الوليد خطة تقضي باقتحام السور عند منتصف الليل عندما تلعب الخمر بالرؤوس، وجهاز فرقة اقتحام تربط الحبال بالخطاطيف لتتعلق بالسور، وتحمل معها السلالم والحبال، وقصد أوسع نقطة للخندق

المائي مع فرقة عبور تحمل القرب المنفوخة.. وعند لحظة الصفر كان اثنان قد تعلقوا بالأسوار وتسللوا إليها، وألقوا بآلات الصعود إلى المحاربين، وخاضوا معركة مع الحارسين اللذين يحرسان الباب بعد منتصف الليل، ثم كبروا وفتحوا الباب الشرقي.. وهنا انهارت معنويات الروم فسارعوا إلى الصلح والاستسلام.

الحصول على معلومة واحدة قد يعني النصر، لو أنها وقعت في يد من يستفيد منها حق الاستفادة.. إن الحركة الإسلامية تملك من الشباب والطاقات فيضانات من البطولة والشجاعة، ولكنه فيضان أعمى، يضرب في كل اتجاه، ويخبط في كل طريق، يسير بلا هدف.. يحاربه العدو، والعدو يعرف عنه أكثر مما يعرف هو عن نفسه! فلا تخلو قصة هزيمته من عجب واندهاش وحسرة أيضاً!



من إصدارات دور النشر الليبية للعام 2024م

الزاوي والعلامة عزالدين الغرياني تحقيق وتعليق
د. محمد عزالدين الغرياني ، وكتاب (أنماط
الإفادة في خدمات الكتابة في كلية العلوم الإنسانية
والاجتماعية) جامعة طرابلس؛ للدكتورة منوبة
رجب المنقاوي ، وكتاب (أمن الإنسان بين الثقافة
والسياسة) للأستاذ المؤرخ عمر بن محمد المجذوب
الزيدي رحمه الله الى جانب كتاب (تحقيق الوفاء
بترجمة أمين دار الإفتاء) - مسيرة الشيخ المفتي
عزالدين الغرياني ومنهجه بقلم الدكتور محمد
عزالدين الغرياني ، وكتاب (نورالآئي في معالم
زاوية الدوكالي) للأستاذ الدكتور نصرالدين البشير
العربي ، وكتاب (الفتح العربي - لبلاد ما وراء النهر)
للمستشرق هاميلتون الكسندر وكسين جب -
ترجمة حسين حمد حسين الفقيه ، وكتاب معالم
حضارية من زواره القديمة للكاتب وائل بوزيد
فطيس وغيرها من الكتب.

الى جانب دار الوليد التي صدر لها كتاب (قصائد
في غياهب الجب) للشاعر «على أبورقيبة» ،
وكتاب (قراءات في نماذج من الشعر والقصة)
للشاعر د. على محمد رحومة ، وكتاب (الرسالة
النثرية الأندلسية خلال القرن الثامن الهجري)
للدكتورة «عائشة أبو القاسم كلا» ، وغيرها من
الكتب .

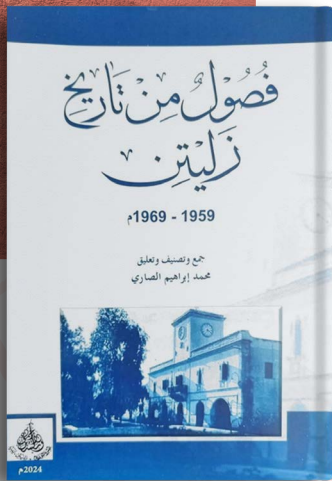
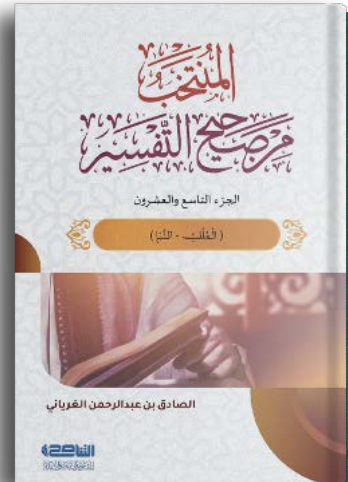
وصدر عن مكتبة ودار (بن حمودة للنشر
والتوزيع) بزلتين، كتاب (فصول من تاريخ زليتن،
1959 - 1969)، جمع وتصنيف وتعليق، الأستاذ
محمد إبراهيم الصاري وهو من الكتب التي توثق
لتاريخ زليتن ا خلال الفترة -1959 1969م.

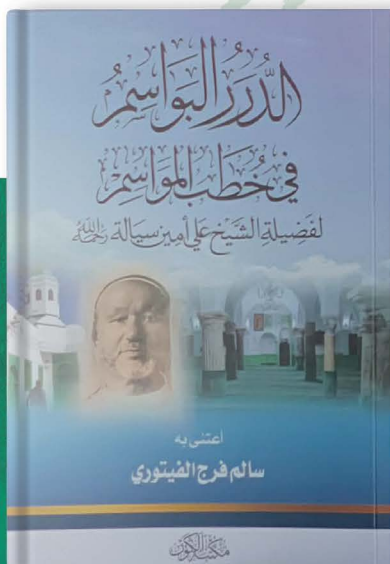
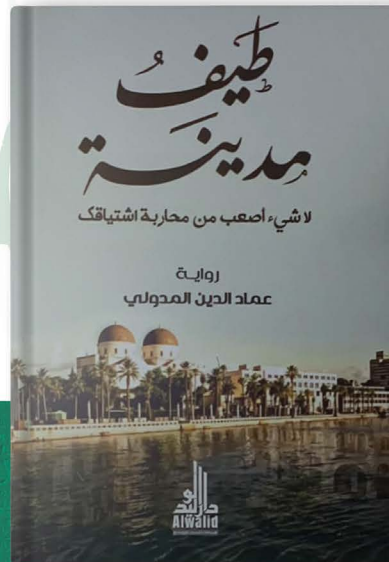
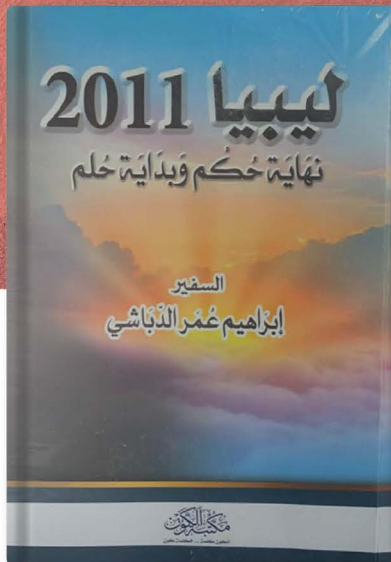
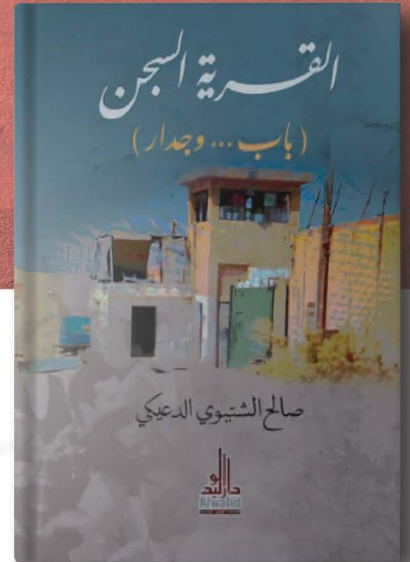
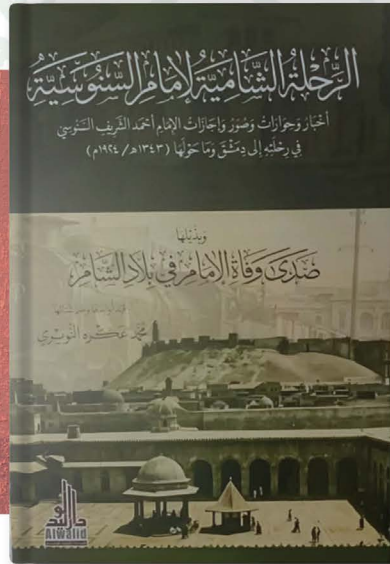
يعتبر العام 2024 عاماً حافلاً بالعديد من
إصدارات الكتب التي عانقت المكتبات في ليبيا؛
فقد كشفت مؤسسة التناصح للدعوة والثقافة
والإعلام عن أربعة عشر جزءاً من كتاب: (المنتخب
من صحيح التفسير) للشيخ الصادق بن عبد
الرحمن الغرياني وقد صدر في العام الماضي ستة
أجزاء منه ولا زال تحت الطبع بقية الأجزاء العشرة
ليكتمل تفسير القرآن كاملاً .

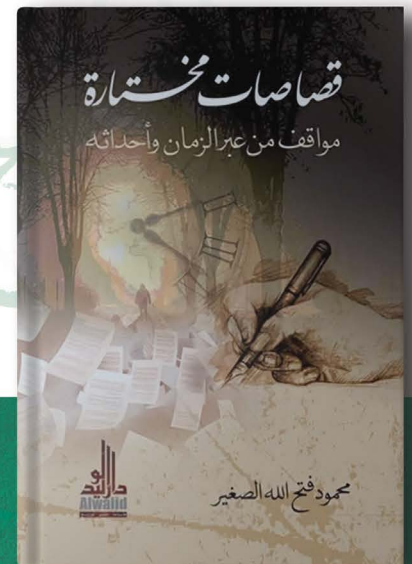
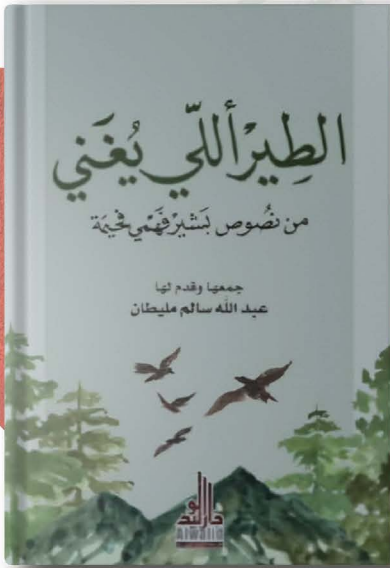
يقول سماحة المفتي حفظه الله في مقدمة هذا
التفسير: « وهو كاسمه منتخب مستخلص ،
اخترت فيه ما صحّ رواية ، وما وافق الأصول الثابتة
درايةً ، سلكت فيه طريقاً وسطاً ، بين الاختصار
والتطويل ، يجد من يريد من العامة الوقوف على
معاني التلاوة في أصل الكتاب فوق الخط في أعلى
صفحاته بغيته ، ومن يريد من طلاب العلم
الوقوف على الدقائق في حواشيه وتحت الخط
أسفل صفحاته حاجته ، بعبارة ميسرة واضحة ،
وتسلسل في المعاني قريب ، تألفه العقول والقلوب
ولا تنبوعه ، ضمنته باختصار ما سبق إلى الأفهام
في آياته من أحكام وآداب ، متى كانت دلالتها عليها
سائجةً ، والإشارة إليها لأئحة . » (3/1)

أما كلية العلوم الشرعية والإفتاء، ومجمع اللغة
العربية فقد صدر لهما كتاب (هل اللغة العربية
الليبية القديمة لغة جزيرية ؟ تأليف أ.د محمد
علي عيسى أستاذ الآثار والحضارات القديمة
المتقاعد قسم التاريخ والآثار/ كلية الآداب / جامعة
طرابلس ، وكتاب (العربية لغة تصويرية) للدكتور
صديق بشير نصر .

وصدر عن مكتبة دار الكون للطباعة والنشر
كتاب: (فتاوي دار الإفتاء الليبية - باب الوقف)
للعلامة عبدالرحمن القلهود والعلامة الطاهر







خدماتنا

• المكتبة العامة

يوفر مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب مكتبة عامة تحتوي على ما يقرب من 40 ألف كتاب في مختلف صنوف المعرفة والعلوم، مصنفة ومرتبطة ومجهزة وفق أفضل أنظمة تصنيف المكتبات، وتفتح المكتبة أبوابها للزوار على مدار اليوم من الساعة 9 صباحاً وحتى 11 مساءً، وتشمل المكتبة أماكن مخصصة للنساء وللرجال، وإضاءة ومقاعد مريحة للقراءة وخدمات إنترنت.

• قاعات التدريب المجهزة

يوفر مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب قاعات لاستضافة وتقديم التدريبات وورش العمل والمؤتمرات والملتقيات والمحاضرات، والقاعات مجهزة بأفضل الإمكانيات مثل السبورات الذكية، وأجهزة العرض الحديثة، والشاشات وأجهزة الحاسوب، وشبكة الإنترنت وغيرها من التجهيزات، ويمكن حجز القاعات مجاناً لإقامة الأنشطة عبر التواصل مع إدارة المركز

مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب
Sheikh Ali Alghiryani Book Center



• خدمات أخرى

يقدم مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب عددا من الخدمات الأخرى لتوفير بيئة مثالية لرواد المكتبة وطلاب العلم والمعرفة، حيث يقدم لزواره خدمات مجانية عدة مثل الطباعة، وخدمات تصوير المستندات، وشبكة انترنت مجانية، وتوفير صحف ومجلات يومية، ومقهى، وخدمات أخرى يسعى من خلالها المركز إلى تلبية كافة الاحتياجات لرواده.

المدار
الجديد



برعاية



الذكرى السنوية الرابعة عشر لثورة السابع عشر من فبراير

2025 - 2011



مركز الشيخ علي الغرياني للكتاب
Sheikh Ali Alghiryani Book Center

تاجوراء، قرب كوبري الشاحنات، بجوار مدرسة قلعة العلم

info@shabcenter.ly 00218 91 024 0866 @ Shabcenter

للتبرع للمركز:

حساب الصدقة العامة 030-210-2099
بمصرف الجمهورية / تاجوراء

حساب الوقف 080-210-102
بمصرف الجمهورية / فرع الشاحنات

فبراير 2025 م
شعبان 1446 هـ

